جامعة الجزائر 2
أبو القاسم سعد الله
معهد الترجمة

البعد الأيديولوجي في الترجمة الأدبية

دراسة تطبيقية تحليلية في ترجمة رواية "قصر الشوق" لنجيب محفوظ إلى الفرنسية

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة

الفرع : عربي – فرنسي

إعداد الطالب:
عبد الحليم فاروق العيدي

إشراف الأستاذة:
د. عديلة بن عودة

تاريخ المناقشة: **2020/02/16**

لجنة المناقشة :

أ.د. باني عميري	رئيسا	جامعة الجزائر 2
د. عديلة بن عودة	مقرّرا	جامعة الجزائر 2
أ.د. ليلى عالم	عضوا	جامعة وهران
أ.د. محمد الشريف بن دالي حسين	عضوا	جامعة الجزائر 2
أ.د. رضوان ظاظا	عضوا	جامعة الجزائر 2
د. سعيدة كحيل	عضوا	جامعة عنابة

السنة الجامعية : 2020/2019

كلمة شكر و عرفان

أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الخالص الذي يليق بأستاذتي الفاضلة:

"عديلة بن عودة"

على كل ما قدمته لي من توجيهات وإرشادات لأجل أن ترى هذه الرسالة النور،

ومهما شكرتها فإنني لن أجزيها حقها، لذلك أقول:

"جزاك الله عني كل خير"

والشكر موصول كذلك إلى زوجتي التي كانت سندي طيلة مراحل إنجاز الرسالة،

كما أتقدم بالشكر والامتنان لكل أعضاء لجنة المناقشة الذين سيتجشمون عناء قراءة

الرسالة قصد تقويمها بهدف إخراجها بالوجه الأفضل.

الطالب: عبد الحليم فاروق العيدي

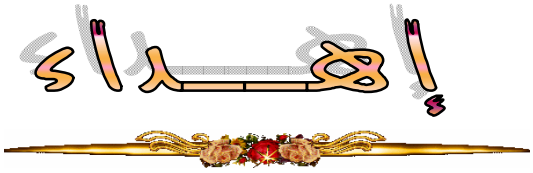

- إلى والدي الكريمين
- إلى زوجتي ...
- إلى أولادي :
  - ✓ هيثم
  - ✓ بلسم
  - ✓ باسم
  - ✓ ميسم

قول مأثور :

« إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غُير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن. ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

(العماد الاسفهاني) (1125- 1201م)

المقدمة

إن الترجمة نشاط فكري يخدم الحداثة والعالمية ووسيلة من وسائل التواصل الثقـــافي والأدبي والفكري، وهي مرجعية كبرى للحوار والتفاعل مع الآخر ونقطة التقاء الثقافات والحضـــارات. ولعلّ المتتبع للفكر المتعلق بحوار الثقافات الذي استقطب المفكرين والمثقفين، يجد في الترجمـــة أداة راقية ومبدعة لهذا الحوار وآلية من الآليات الـــتي تســـاهم في إرســـاء مبـــادئ التعـــايش بـــين الحضارات واحترام الآخر، وأنها ساهمت بشكل فعّال عبر التاريخ في فتح آفـــاق لتنـــوير الـــدول ونهضتها في جميع أنحاء العالم.

ومن أبرز مظاهر الحوار بين الثقافات ترجمة النصوص الأدبية لما تحمل في ثناياها من مكونات ثقافية مميّزة تُؤسس لمفهوم الغيرية ومبدأ الاختلاف وخلفية التعايش والتعارف بين الثقافات. وقد اتضحت معالمها أكثر فأكثر حين دخل العنصر الثقافي قاموس الدراسات الترجمية أوائل تسعينيات القرن الماضي نتيجة لتأثر الترجمة بالدراسات الثقافية، ومن ثمّ انصَبَّ محور التركيز على الجوانب الاجتماعية والثقافية والتواصلية، وعلى البعد الثقافي والأيديولوجي في الممارسة الترجمية وكذا السياسة المعمول بها في هذا الميدان.

وتبدو ترجمة الأدب في الظاهر عملا يخلو من كل الصراعات، لكن عنـــد الـــتمعن فيهـــا سرعان ما نُدرك أنها عملية معقدة متعدّدة المشارب تُبطن صراعا ثقافيا وحضاريا، فهي تتكفل في الحقيقة بنقل النصوص للتعريف بالمجتمع الذي نشأت فيه نقلا لا يكاد أن يكون حياديا، يعكـــس القيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للعاملين في ميدان الإنتاج الأدبي المحلي أو المترجم بهـــدف ترسيخ نماذج للقرّاء ومبادئ عامة لأفكارهم وسياستهم الثقافية، لينكشف الســـتار عـــن علاقـــة

الترجمة بالصراع الحضاري وتظهر بوضوح خبايا العمل في هذا الميدان ونوايا العاملين فيه ومـــدى انقياده بمختلف المؤثرات غير اللسانية. وتأتي هذه الرهانات لتفسير اقتصار مشـــاريع الترجمـــة في المجتمعات الغربية على ما تطلبه دور النشر حسب مقاييسها السوسيولوجية والتجارية واختياراتهـــا الأدبية وفق استراتيجية ترجمية تلبّي الأهداف المرجوة من العملية برمّتها.

والحال أن المقاربات اللسانية في الترجمة لم تسلّط الضوء على عنصر الأيديولوجية و لم توليه اهتماما كبيرا لأنها مقاربات تقتصر على النماذج العلمية والبحوث والخبرات المتراكمة في هذا الميدان باعتبارها أساسا دراسات وصفية تهتم بأشكال النصوص وجوانب أخرى متصلة بالاستعمال اللغوي، دون أن تأخذ بعين الاعتبار القيم الاجتماعية والأيديولوجية بصفتها جزءا لا يمكن فصله عن الممارسة الترجمية ونظريتها. ومنه، أصبحت علاقة الخطاب بالأيديولوجية في مجال الدراسات الترجمية علاقة ثابتة، إذ يرى حاتم باسل وإيان مايسن (1997) أن:

all use of language reflects a set of users' assumptions which are closely bound up with attitudes, beliefs and value systems… discourse as institutionalized modes of speaking and writing which give expression to particular attitudes towards areas of socio-cultural activity. (p. 120)

وفاد قوله: « يعد كل استخدام للغة انعكاسا لمجموع أفكار ومعتقدات المستخدمين المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمواقف والمعتقدات والقيم، كما يعد الخطاب نمط الكلام الشفوي أو الكتابي المُنظم المُعبّر عن مواقف معينة في مجالات النشاط الاجتماعي والثقافي» (ترجمتنا)

جاءت هذه الدراسة موسومة بالعنوان التالي : « **البعد الأيديولوجي في الترجمة الأدبية – دراسة تطبيقية تحليلية في ترجمة رواية "قصر الشوق" لنجيب محفوظ إلى الفرنسية**»،

وهو منطلق رغبتنا في تحري أثر الأيديولوجية في الترجمة الأدبية والبحث في الإشكالية التالية:

ما هو الدور الذي تلعبه الأيديولوجية في الترجمة الأدبية؟

ما تُحيلنا إلى طرح الأسئلة الفرعية الآتية:

- **ما دور الأيديولوجية في تحديد المنهج الترجمي؟**
- **ما هي مظاهر الأيديولوجية في النصوص؟**
- **هل للأيديولوجيا أثر في تلقي الترجمات، قبولها ونجاحها؟**

ارتكز محور دراستنا على هذه الإشكالية حتى يتسنّى لنا النظر إلى مداخل التفكير في علاقة الترجمة بالأيديولوجية المُحددة لأساليب الترجمة، ورسم سبل للبحث عن مرجعية الإجراءات التي يتبناها المترجم في ترجمة النصوص الأدبية، ومنها تحدّد الهدف الرئيسي من هذه الأطروحة المتمثل في الكشف عن دور الأيديولوجية في الترجمة وإبراز مظاهرها من خلال **اختيار المفردات Choix lexicaux**) في النص المترجم. ومن أهداف الدراسة تمكين متصفحيها من فهم خبايا الترجمة فهما عميقا والاطلاع على نماذج ترجمية تجعلهم يكتشفون سبب اختيار كلمة أو عبارة أو بنية بدلا من أخرى ممكنة. وبصفة عامة، إظهار أثر عنصر الأيديولوجية في كل الخيارات اللغوية التي تحمل طيّها معان مشبّعة بها.

ولتحقيق هذا الهدف، سعينا في ضوء منهج **التحليل النقدي للخطاب Analyse Critique du Discours – Critical Discourse Analysis** باعتباره «مقاربة متعددة الفروع تهتم بدراسة الخطاب وتنظر إلى اللغة على أنها شكل من أشكال الممارسة الاجتماعية». (Fairclough, 2001, p. 20) إلى إبراز مظاهر الأيديولوجية وتحرّي عمليات الاختيار المنهج للمفردات والغاية منها، لأن كل اختيار يقوم به المترجم سواء كان زيادة أو حذفا أو انتقاء للمفردات وترتيبها، يكون فعلا إراديا يعكس تاريخه وبيئته الاجتماعية والسياسية، أو بمعنى آخر ثقافته وأيديولوجيته. حيث « يأخذ البعد الأيديولوجي في التحليل النقدي للخطاب مكانة محورية في إقامة علاقات القوة غير المتكافئة والحفاظ عليها».(Wodak and Meyer, 2001, p.10). أما من الجانب العملي، فتتلخص عملية التحليل ضمن هذا المنهج في **معاينة النص، التفاعل والسياق الاجتماعي** بصفتها العناصر الثلاث المكونة للخطاب، وتُقابل هذه العمليات **ثلاث مراحل** هي: **وصف النص، تأويل علاقة النص والتفاعل**، وأخيرا **شرح العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي**. (Fairclough, 1998, p. 108). ومنه، نستنتج أن عمليات التحليل النقدي للخطاب تتلخص في ثلاث مراحل هي **الوصف، التأويل والشرح**، سنوظفها في ثلاثة إجراءات لغوية رئيسية هي: **التشويه، الحذف والإضافة**.

تناولت عديد الدراسات موضوع الترجمة وعلاقتها بالأيديولوجية، وكانت لمطالعتنا بعض الكتب أثرا بارزا في بلورة إشكالية هذه الرسالة، نذكر على وجه الخصوص كتاب **سعيد فائق Said Faiq** «Cultural Encounters in Translation from Arabic» (2004) الذي سمح لنا بالتعرف على خبايا العمل في ميدان الترجمة وحقيقة الصراع وتجلياته الأيديولوجية والثقافية،

وكتاب **باسل حاتم وإيان مايسن Basil Hatim and Ian Mason** : «The Translator as Communicator » (1997) الذي كان له الأثر في فهم طبيعة محتوى الخطاب المُشبّع بمعتقدات المستعملين وأفكارهم الذي تنعكس من خلاله مواقفهم وقيمهم. كما كان كتاب **جيريمي موندي Jeremy Munday** «Style and ideology in translation: Latin American writing in English» (2008) نورا اهتدينا به إلى حقيقة الدوافع الأيديولوجية في الاختيارات اللغوية. وكانت لأعمال **فان دايك Van Dijk** المتعددة التي تناولت أساسا علاقة اللغة بالأيديولوجية أو الأيديولوجية والتحليل النقدي للخطاب، الأثر في اختيار التحليل النقدي للخطاب منهجا عمليا يسمح لنا بإنجاز الفصل التطبيقي لهذه الأطروحة الذي يرمي إلى إبراز المظاهر الأيديولوجية التي تتجلّى من خلال المفردات المختارة والكشف عن أهدافها.

ورغبة منا في دراسة الموضوع دراسة علمية عميقة وشاملة تحقيقا للهدف المرجو منها، لم ندخر جهدا في الالتزام بالقواعد المتعارف عليها بين أهل العلم من طرح الأفكار وفق ترتيب منهجي مُحدّد يخدم الموضوع وطبيعته، ونسبة الأقوال إلى أهلها. كما تأرجحت الوسائط المنهجية المعتمدة بالنظر إلى طبيعة الإشكالية بين المنهج الوصفي في القسم النظري بغية استجلاء النظرية وتسليط الضوء على مختلف المفاهيم النظرية التي تخدم الجانب العلمي من الموضوع، والمنهج النقدي التحليلي في القسم التطبيقي. توزع القسم الأول على فصلين نظريين، والقسم الثاني على فصل مُخصّص للعمل التطبيقي.

الفصل الأول: « **الترجمة الأدبية : رهاناتها وخصائصها** » ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: «**مفهوم النص الأدبي ومميزاته**» ويرمي إلى التعريف بمفهوم النص الأدبي ومميزاته من حيث اللغة والبناء، وتشبعه بالمقومات الثقافية المتجذرة في ثنايا اللغة.

المبحث الثاني: «**الترجمة وحوار الثقافات** »، ويتضمن مداخل ارتباط الترجمة بالثقافة ارتباطها باللغة، ومحاكاة الطريقة التي سلك بها العنصر الثقافي ببعده الأيديولوجي طريقه إلى الدراسات الترجمية، ثم تطرقنا ضمن هذا المبحث إلى علاقة الترجمة بحوار الثقافات.

المبحث الثالث : « **إشكالية ترجمة النصوص الأدبية**» أدرجت فيه خصائص ترجمة النصوص الأدبية ومتطلباتها ومختلف التحديات التي تطرحها إن على المستوي اللغوي أو الفني أو الثقافي، مثيرا بعد ذلك إشكالية ترجمة البعد الثقافي بخلفياته مستطردا بعرض مفهومين متعارضين في الترجمة الأدبية وهما **مفهوم أنطوان برمان** (**Antoine Berman**) في الترجمة الأدبية الداعي إلى الانفتاح على الآخر والتحكم في البعد الأيديولوجي المُحدّد لأساليب الترجمة والتصدي لنزعة التمركز حول الذات، **ومفهوم إعادة الكتابة Réécriture** الذي أسّسه أندريه لوفافر (**André Lefèvre**) يؤكد فيه تأثير الأيديولوجية في كل الخيارات التي يقوم بها المترجم.

الفصل الثاني : « **البعد الأيديولوجي في الترجمة** » وينقسم إلى مبحثين،

المبحث الأول : « **الأيديولوجية والترجمة**» أدرجنا فيه في المقام الأول تعريفا "للأيديولوجية" وسلّطنا الضوء على تعدد معاني هذا المفهوم باعتباره واحدا من المصطلحات الأكثر غموضا والمفاهيم الأكثر إثارة للجدل. كما ضمنّاه نقاشا حول علاقة اللغة والخطاب بالأيديولوجية، ومكانة البعد الأيديولوجي في الترجمة.

المبحث الثاني : « **الترجمة والتحليل النقدي للخطاب**» وعرضنا فيه تعريفا لمنهج التحليل النقدي للخطاب بصفته منهجا لسانيا عمليا للكشف عن مظاهر الأيديولوجية في النصوص. كما تضمن شرحا لعلاقة التحليل النقدي للخطاب بالأيديولوجية ودواعي تغلغله في الدرس الترجمي. وعرّجنا في الأخير إلى إبراز دور التحليل النقدي للخطاب في الكشف عن أثر الأيديولوجية في الاختيارات المعجمية التي يقوم بها الكُتّاب والمترجمون على حد سواء. ويُعد هذا المبحث بمثابة تمهيد للقسم التطبيقي عبر دراسة تحليلية نقدية للمدونة في ضوء **المقاربة التاريخية للخطاب Discourse Historical Approach** وهي إحدى المقاربات الست المنطوية تحت منهج التحليل النقدي للخطاب.

الفصل الثالث: « **دراسة تحليلية نقدية للمدونة في ضوء التحليل النقدي للخطاب**» ويمثل الجزء التطبيقي في هذه الدراسة ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول: اعتنيت فيه بتقديم الرواية التي شكّلت مدونة الدراسة وملخصا لها مع تعريف موجز بمترجمها.

المبحث الثاني: وهو مبحث عملي الوجهة، سنده رواية «**قصر الشوق**» لنجيب محفوظ وترجمتها إلى الفرنسية بعنوان « **Le Palais du Désir** » من قبل **فيليب فيغرو Philippe Vigreux**. وكان اختيارنا لهذه الرواية اختيارا يحرص على خدمة الموضوع الذي أردنا دراسته ويُلبّي الهدف منه مستندين في ذلك إلى ثلاثة أسباب رئيسية هي:

الأول إبداعي جمالي لكون الرواية من أشهر روايات الكاتب نجيب محفوظ والمؤلفات العربية المترجمة.

الثاني عملي لأنه نص مشبّع بخصائص الثقافة العربية الإسلامية ومقوماتها، وأن الترجمة قد تمّت من قبل مترجم فرنسي ينتسب إلى ثقافة تختلف عن ثقافة مؤلف النص الأصل.

الثالث براغماتي من أجل معاينة كيفية تعامل المترجم الأجنبي مع العناصر الثقافية والدينية على وجه التحديد.

ارتكز العمل التطبيقي في الدراسة على رصد نماذج المفردات المختارة من المدونة، وهي نماذج تعرض مظاهر أيديولوجية عبر ثلاثة إجراءات لغوية رئيسية هي: **التشويه، الحذف والإضافة،** ثم تحليلها في ضوء مبادئ **المقاربة التاريخية للخطاب** المنطوية ضمن منهج التحليل النقدي للخطاب الذي يُعد أداة منهجية لتحديد مكمن التصرف الذي أثارته الأيديولوجية أو كانت مصدرا له. حيث تتم عملية التحليل في ثلاثة مراحل هي: **الوصف – التأويل – الشرح،** تسمح لنا بتعليل أسباب الاختيار. ويُمكن للقارئ أن يلاحظ أننا عمدنا إلى سرد أكبر عدد من الأمثلة يتجسد فيها كل إجراء لمسنا فيه أثرا أيديولوجيا مع الشرح الكافي والتعليق لكي تتبيّن للقارئ خبايا العملية وتتّضح له بجلاء حقيقة نوايا المترجم والأهداف المرجوة من الترجمة.

ونخلص من خلال مقابلة النص الأصل والترجمة مرورا بعملية التحليل إلى تحديد مدى تكافئ المفردات والعبارات المستعملة في النص الهدف بقريناتها في النص الأصل والكشف عن

مكمن التصرف الذي طال هذا الأخير ضمن الإجراءات الثلاث المذكورة أعلاه التي استعان بها صاحب الترجمة، والنظر في السلوك الترجمي والدوافع والأهداف التي كانت وراء ذلك.

وفي سياق الحديث عن التحليل النقدي للخطاب، نود إزالة اللبس عن هذا المفهوم لأن التصور السائد يجعل منه منهجا نقديا للتمييز بين مواطن الجودة والرداءة، والحقيقة أن مفهوم النقد هنا لا يختص بالنقد الجمالي أو البنيوي أو النفسي أو الثقافي، وإنما القصد منه إزالة اللثام عن النوايا والأهداف غير المعلنة التي تُضمرها الاختيارات اللسانية في الخطاب الأدبي. وهنا يجدر بنا التذكير بانتفاء التناقض بين المنهج النقدي وسؤال الموضوعية والحياد في البحث العلمي لأن مسألة الحياد قضية نسبية في العلوم الإنسانية، ذلك لأن السكوت عند موطن الاختيار المشوب بأغراض غير لسانية موافقةُ وتأييدُ غير مُباشر وتحيُّز ضمني للاختيار الذي عرضه المترجم، أما الوقوف على مكمن التصرف على الأقل من وجهة نظر الذاتية فهو بيان للخلفية الأيديولوجية التي أثارت الاختيار بوعي أو بدون وعي منه. لذلك لم نجد حرجا في إبداء رأينا حسب تأويلنا الخاص لاختيارات المترجم وعرض مرجعيتها كلما لمسنا في اختياراته مظهرا أو موقفا يعكس أيديولوجيته.

ويتبع العمل التحليلي تعليق يقودنا إلى حصر الاستنتاجات التي تسمح لنا بتحديد المسار الذي انتهجته الترجمة، والحديث عن تورط الأيديولوجية في طريقة التعامل أو ترجمة خصائص الدين الإسلامي، ممّا يدعو إلى ضرورة عقلنة العمل في هذا الميدان باعتماد مبدأ الأخلاق في الترجمة الذي دعا إليه كثير من المنظرين لأنه حسب رأيهم معيار من معايير نجاح الترجمة التي تُعد حلقة من حلقات تعزيز الحوار الجاد بين الثقافات والأديان المؤدي إلى التعايش والتبادل بدلا أن تقف عقبة

في طريقه. وتصل هذه الدراسة إلى نهايتها بإدراج خاتمة تشمُل حوصلة لنتائج الدراسة وقائمة للمصادر والمراجع التي تمّ الاعتماد عليها في إنجاز هذه الدراسة، ثم ملخصات للأطروحة باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.

كما يجدر بنا التذكير بأننا واجهنا مثلنا مثل باقي الباحثين بعض أوجه المشقة والصعوبات أثناء إنجاز هذا العمل، من بينها طبيعة الموضوع المرتبط بمفهوم الأيديولوجية المتجذر في عمق الفلسفات الذي لم يعرف ثباتا على تعريف تام وشامل، ومنها أيضا عملية التحليل في عمق الخطاب الأيديولوجي التي تتّسم بالتعقيد، إضافة إلى اختيار المقاربة المناسبة ضمن مقاربات التحليل النقدي للخطاب وكذا اختيار المدونة التي يُمكن أن تُزودنا بالنماذج حرصا على خدمة العمل التحليلي النقدي وتلبية الهدف من الدراسة. لكن لم تكن هذه العقبات رغم ثقل حملها إلا لتُكسب العمل معنى.

ونود الإشارة إلى أننا استندنا في تحرير هذه الأطروحة إلى منهج الجمعية السيكولوجية الأمريكية (APA) الطبعة 6، في ذكر الاقتباسات المدرجة في صُلب النص (in- text citations) وفي قائمة المصادر والمراجع. كما آثرنا إدراج الاقتباسات الهامة بلغة الأصل سواء كانت فرنسية أو انجليزية وترجمتها إلى اللغة العربية والإشارة إليها بين قوسين أنها ترجمتنا الخاصة.

وفي ختام تقديم هذه الدراسة، لا نفتري القول أنه علم عندنا، بل ما كان في العمل من صواب فمن الله، وما كان فيه من زلل فمن أنفسنا، واللّه وليّ التوفيق وبه المستعان وهو من وراء القصد.

الفصل الأول:

الترجمة الأدبية، رهاناتها وخصائصها

المبحث الأول: مفهوم النص الأدبي ومميزاته

تمهيد :

الأدب « ما عبّر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل ... أو هو الكلام الذي ينقل إلى السامع أو القارئ التجارب والانفعالات النفسية التي يشعُر بها المتكلّم أو المُنتج [...] فهو علم يضُم أصول فن الكتابة النثرية والشعرية المتأثرة بالعاطفة، والمؤثرة في العاطفة. وغدا مرآة لنفس الأديب يعكس من خلالها حقائق ومتطلبات نابعة من أعماق المجتمع يحتاج إليها الشعب، صادرة عن أحد ينابيع الفكر التي يرعفُ بها قلم مُعبّر مُتميّز يهدف إلى صقل البشرية بتوضيح صورة خيالية فيها واقع، وفيها عناصر فنيّة تُميّزه عن الإنسان العادي وإن كانت في الأصل هدفه ومنبعه... فالأدب فكرة وأسلوب، مضمون وشكل... وهو فكرة من واقع المجتمع أو من أحلامه، وهو أسلوب فيه براعة، وجاذبية ورشاقة وموسيقى، يتكون من ذلك كله أدب أمة وأدب شعب.» (محمد التونجي، 1994، ص 47) .

والأدب أنواع يمكن تصنيفها بعدّة طرق مختلفة، حيث يُمكن أن ننسبه إلى ثقافة معينة مثل الأدب العربيّ أو الأدب الفرنسيّ أو الأدب الإنجليزيّ. ويمكن أن نصنّفه ضمن حقبة زمنية معيّنة على غرار أدب القرن العشرين. وقد نصنّفه تبعاً لموضوعه مثل أدب المقاومة أو أدب الرحلات وغيرها. كما يمكن تصنيفه إلى أنواع تبعا لشكل الأعمال الأدبية،

ونجد من أهمها: الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والشعر والمقالة والسيرة الذاتيّة ... إلخ. و يُعرف الأدب أنه «نتاج فكريّ يشكّل الرصيد الفكريّ واللغوي لأمّة من الأمم وهو انعكاس لثقافتها ومجتمعها يقدمها أديب هذه الأمة مُعبّرا بها عن طموحها وأحلامها وآمالها». (المرجع نفسه، ص48)، كما يعد من أهم الفنون ومن أوسعها انتشارا ومن أكثرها ارتباطا بالإنسان والحياة.

فما مفهوم النص الأدبي وماهي خصائصه؟ وما هي خصائص ترجمته بأبعادها وإشكالاتها؟

1- مفهوم النص الأدبي

النص اصطلاحا « عبارة عن نسيج من الجمل المتضامنة والمتضافرة والمتجادلة والمتراكبة والمتتابعة لا يُمكن فهمه إلا بتتبع ملفوظاته واستقصائه جملة جملة بغية إدراك المعنى والغاية والمنتهى والفائدة المرجوة. أما النص (**Texte**) في الثقافة الغربية، فيعني نسيجا لفظيا أو مكتوبا في شكل جمل وفقرات ومتواليات مترابطة ومتراصّة ومتسقة ومنسجمة (...) خاضع لمجموعة من القواعد النحوية والصوتية والصرفية والمعجمية » (جميل حمداوي، 2015، ص 6) وهو «أحد أهم مظاهر التوصيل اللساني لكونه يختزن الأفكار والتراكيب والوظائف. وعدا أنه مُعد لأغراض توصيلية، فهو أيضا موجه لفئات مختلفة من القرّاء » (إ. بيوض، 2003، ص 32).

والنصّ الأدبي « كلام متعدّد المستويات متعدّد الخصائص الفنّيّة يؤدّي فضلا عن وظيفته المعرفيّة والتبليغية، وظيفة نفسيّة تتمثّل في التأثير في المتلقّي من خلال تحريك انفعالاته وزيادة عنصر التشويق لديه عبر الصور الفنية التي تضفي على النصّ شعرية وتمنحه القدرة على التأثير. وتعدُّ الصور مظهرا من مظاهر الفنّ والجمال في النصّ، ومؤشّرا قويّا على العبقريّة والإبداع. فقد ربط أرسطو بين الشعر والرسم، وذكر أن الرّسام يستعمل الريشة والألوان، في حين يستعمل الشاعر المفردات ويصوغها في قالب فنّي مؤثّر يترك أثره في المتلقي... وممّا لاشكّ فيه أنّ الصورة تكشف عن رؤية الشاعر للأشياء والأشخاص أكثر مما

يكشف عنها الكلام الصريح أو التعبير المباشر الذي لا يستطيع أن يتناغم مع المشاعر الإنسانيّة أو يتحاور مع الوجدان لأنه عقيم فنّيا. ولا يمكن للكلام أن يرقى إلى مصف الفن ما لم يتوفّر على قوّة الخلق أو عنصر الإبداع الذي يخلق المتعة والجمال الفنّيين». (عقيل جاسم دهش، 2012، ص 1)

و« تشمل النصوص الأدبية عدة وظائف أهمها الوظيفة التعبيرية والوظيفة الجمالية لأنها أحد أسس الكتابة الأدبية، وأحيانا تكون لها وظيفة تبليغية» (إ. بيوض، المرجع السابق، ص 34)، ويُصاغ النص الأدبي وفق عملية منهجية خاصة تُنظمه تنظيماً يأخذ به صبغة فنية وشكلا جماليا لا يقل أهمية عن المضمون.

كما أن للنص الأدبي بكل أجناسه خصائص لغوية، إبداعية، جمالية وأسلوبية تميزه عن باقي النصوص مثل النصوص العلمية والإخبارية المحددة في أغلبها بمضمونها ولغتها المألوفة لثبات دلالة الألفاظ لدى المتعاملين بها، فإن النصوص الأدبية تعرض تشكيلة من الإيحاءات (**Connotations**) والكلمات ذات الشحنة الدلالية، وتغلب عليها التعابير المجازية والاستعارات والخيال لانزياح لغتها عن المألوف بخروج الكلمات عن دلالتها اللغوية والمعجمية وتشبعها بالخيال والعاطفة لإثارة المشاعر والتأثير في نفس المتلقي.

2. مميزات النص الأدبي

للنص الأدبي سمات أدبية وجمالية تُميّزه عن باقي النصوص، نّدرجها مُلخصةَ وفقا للخصائص التي ذكرها جمال محمد جابر في كتابه "منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق" (2005)، وتأتي كما يلي:

أ- سيطرة الوظيفة التعبيرية :

وهي وظيفة تتكفل بالتعبير عن أفكار المبدع و وصف عواطفه التي تعكس كل ما يختلجه من مشاعر وأحاسيس تلون ألفاظه وعباراته، واستخدام اللغة وفقا لقدراته التعبيرية لنقل موقفه والإقناع به.

ب- القدرة الإيحائية :

وذلك عبر الدلالات الهامشية لغرض تحقيق المتعة الفنية في النص الأدبي، والتـــأثير في المُخاطبين. ويتحقق ذلك باختيار الكلمات والألفاظ والتراكيب واستعمال الصور البيانيـــة التي تعمل على إضفاء القدرة الإيحائية للنص الأدبي. وترتبط الصور البيانية بالخيال لصـــياغة الواقع وبنائه في عالم الأدب. فكلما كانت العاطفة قوية، كانت الحاجة إلى الخيال أقـــوى. ونتيجة لاستغلال الأديب للدلالات الهامشية، تبقى جوانب من الرسالة غامضة حيث تختلف الصور والمعاني التي تحصل في الذهن باختلاف المتلقي وبيئته وتجاربه وميوله وذوقه.

جـ- أهمية الشكل :

الشكل وسيلة لإحداث البعد الجمالي، ويُقصد به استعمال المؤلف للغة استخداما خاصا للتعبير وإبراز رسالة الأثر الأدبي بالهيئة التي قصد المؤلف أن تكون عليها بغية إثارة العواطف والانفعالات فضلا عن وظيفة إبلاغ الحقائق. ويتم كل ذلك من خلال أسلوب واضح قوي وجميل يعكس في الغالب شخصية الكاتب وثقافته وملكته، باستخدام الأساليب البلاغية والصور البيانية ليقدمها في قالب إبداعي يُحدث أثرا في فكر القارئ، دون إغفال الموسيقي المنتظمة في النص من خلال الجناس والسجع والإيقاع وكذلك الوزن والقافية في الشعر، حيث تصنع أثراً جمالياً جذّابا يشد انتباه القارئ ويمتعه.

د- تعدد المعاني والقابلية لتعددية التأويل :

تتعدّد تأويلات النص بتعدّد قرّائه لوجود التأويل المجازي، و هو أحد مظاهر التباين بين النص الأدبي وغيره من النصوص. فكلّما كان النص الأدبي غنيا بالدلالات الهامشية الخاصة بالمؤلف والدلالات الهامشية الاجتماعية والثقافية، كانت معانيه أكثر تعدُدا وتأويلاته أكثر تباينا. وقد تختلف تأويلات النص الأدبي الواحد حسب الكيفية التي نقرأ بها النص (الذاتية) وباختلاف الزمان والمكان لأن في اختلافهما تغيُرا للعوامل والمؤثرات المحيطة بقارئ النص.

هـ- تجاوز النص حدود الزمان والمكان :

ومعناه أن قيمة النص الأدبي بوصفه أثرا أدبيا لا تتأثر كثيرا بتغيُر الزمان والمكان وهو كذلك مرآة لهما. وهو يحمل قيما إنسانية تتجاوز حدود الزمان والمكان، يؤكد اهتمامنا المستمر بالمؤلفات الأدبية القديمة. والأدب شكل راق من أشكال الاتصال لأن النص الإبداعي لا يكتمل حتى ينقطع عن مُرسله وتبقى العلاقة بين الرسالة و المتلقي مستمرة دائما عبر الزمن.

و- نقل القيم الإنسانية :

تناول الأدب في كل زمان ومكان المواضيع الثابتة المتعلقة بالقيم الإنسانية كالحب والخير والصداقة والإيمان والتضحية والحرية والحياة وتناقلتها الأجيال باعتبارها قيما لا تبلى. ذلك ما يجعل الفرد يولي الأدب هذه الأهمية. إذ تطرح هذه القيم بطرق فنية تختلف باختلاف الجنس الأدبي. (ص 18-25)

تلك هي أبرز خصائص النص الأدبي التي تميّزه عن غيره من النصوص، ولا يخفى عن القارئ أن الخصائص الثلاث الأولى هي أكثر أهمية من الثلاث الباقية لارتباط الخصائص الأولى بمنشئ النص ومواقفه ولغته.

المبحث الثاني : الترجمة وحوار الثقافات

تمهيد :

تظل الترجمة نشاطا يكتسي أهمية بالغة ويلقى انتشارا واسعا لأنه يؤدي دورا هاما في مد الجسور بين الثقافات ومختلف الأمم وكذا زيادة الوعي والتفاهم والتوافق بينها. غير أن الاهتمام بأدب اللغات الأخرى يتطلب مراعاة المشاكل الجدية التي تُواجه ترجمة الأدب وتقصّي صعابها، لأنها تفرض على المترجم التعامل مع نص يتضمن عناصر لغوية وثقافية تعكس خيال المؤلف وفكره وحتى بيئته، لا يمكن للمترجم بأي حال من الأحوال أن يتجاهلها حتى لا تؤول الترجمة إلى الفشل.

لقد أصبحت علاقة ترجمة الأدب بحوار الثقافات من أهم انشغالات الفكر المعاصر، وأضحت ترجمة النصوص الأدبية لما تحمل في ثناياها من مكونات ثقافية مميّزة من الحقائق التي تؤكد دورها في مد جسور الحوار بين الثقافات من خلال التركيز على مبدأ الاختلاف وخلفية التعايش والتعارف بين الثقافات. وهي تصبح انطلاقا من هذا المنظور نقيضا للمركزية والعنصرية والهيمنة، داعية إلى تقبُل الاختلاف واحترام الآخر.

1. البعد الثقافي في النصوص الأدبية

لم تكن للإنسان ثقافة إلا عندما عرف كيف يشير إلى الأشياء التي تحيط به، وارتبط ظهور الثقافات المتعددة بظهور العلامات أو الرموز التي تكوّن نظام اللغة، فإن العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا تعني شيئا أكثر من أن للغة أساسا ثقافيا [...] كما أنها نوع من السلوك الاجتماعي مثل أي ظاهرة اجتماعية أخرى تتكون ضمن إطار ثقافة ما. (كريم زكي حسام الدين، 2001، ص 11) وهي من أهم مكونات الثقافة ومظهر من مظاهرها والوعاء الذي يستوعب كل السمات والعناصر المختلفة لثقافة المتكلمين بها. إنها « أساسا نظام عباري يحمل حركة فكرية ومعرفية وفلسفية وإدراكا وتحولات ثورية، علاوة عن كونها خزانة الماضي المتحرك لأمة معيّنة» (محمد الديداوي، 2002، ص271).

واللغة حسب كلار كرامش (1998) :

> Language is the principal means whereby we conduct our social lives. When it is used in contexts of communication, it is bound up with culture … the words people utter refer to common experience». (p. 3)

بمعنى أن « اللغة هي الوسيلة الرئيسية التي تقوم عليها حياتنا الاجتماعية، وترتبط عند استعمالها في سياقات التواصل ذات ارتباطا وطيدا بالثقافة [...] وأن المفردات التي يستعملها الأفراد تجد مرجعيتها في الخبرات المشتركة». (ترجمتنا)

فإذا كانت اللغة الوسيلة الرئيسة التي يتعامل بها أفراد المجتمع والوعاء الذي يحمل كل خبرات الجماعة وتجاربها من خلال ألفاظها وتعابيرها، فلا يُمكننا فهم هذه الألفاظ والتعابير إلا بمعرفة تلك الثقافة. (ك. ز حسام الدين، المرجع السابق، ص 13)، الشيء الذي جعل إدوارد سابير (**Edouard Sapir**) يعتبر اللغة سبيلا للتعرّف على واقع المجتمعات، ودليلا لدراسة ثقافة معينة دراسة علمية لأنها أساسا نتاج ثقافي أو اجتماعي. وعليه، تصبح اللغة وسيلة للتعبير عن نظرة الإنسان إلى العالم المحيط به ومحدّدة لخبراته. . (E. Sapir in Bassnet, 2002, p. 21)

فاللغة تفرض على المتكلم نظرة إلى العالم تجعل الثقافة والفكر يختلفان باختلاف اللغة، فذلك دليل وجود علاقة تأثر وتأثير بين اللغة والفكر، وهي كذلك حسب العالم الروسي يوري لوتمن (**Juri Lotman**) بمثابة القلب النابض في كيان الثقافة، إذ يقول:

> No language can exist unless it is steeped in the context of culture, and no culture can exist which does not have at its center, the structure of natural language » (ibid : 22)

ومفاد قوله أنه «لا وجود للغة ما لم تمتدّ جذورها في السياق الثقافي، ولا وجود لثقافة لا تحمل في عمقها تراسيم لغة طبيعية». (ترجمتنا)

يعد الأدب بصفته شكلا من أشكال الإبداع البشري، مرآة للمعطيات الاجتماعية والحضارية والثقافية لمختلف الشعوب لما تحمله النصوص في ثناياها من مميزات لغوية وثقافية تجعل الترجمة لا تقبل الانحصار في نظرية لغوية ضيقة لا ترى فيها إلا مجرد نقل للمعنى تحتويه

مجموعة من الرموز اللغوية. فالعمل الترجمي يتطلب بالإضافة إلى اللغة، جملة من المعايير غير اللسانية تتّصل أساسا بالواقع الاجتماعي والثقافي ارتسمت من خلالها في الأفق صورة تكشف مدى صعوبة أو عدم قابلية المميّزات الثقافية للترجمة المتصلة بمفهوم التبادل بين الثقافات انطلاقا من وجهة نظر مونادية **Monadique**. غير أن النشاط الترجمي عمل أكّدته الحاجة وبرهنت عليه الممارسة عبر التاريخ تعزّزت بموجبه النظرة الكونية **Universelle** بوصفها بديلا نتج عن التطورات التي شهدها الدرس الترجمي، خاصة من خلال تغلغل البعد الثقافي باعتباره عنصرا فعّالا في العملية الترجمية. فالمدرسة الألمانية على سبيل المثال ترى أن الترجمة الأدبية هي جزء لا يتجزأ من اللغة الأدبية وهي بالتالي نشاط ثقافي يعمل على إثراء وتقوية الإرث الثقافي. (Yowell y . A & M S.Lataiwish, 1999/2000, p. 106).

وفي السياق نفسه، أشار **نايدا** (**Nida**) إلى «أن الاختلاف الجذري بين اللغات والثقافات قد يعيق عملية إعادة كتابة وبشكل ملائم نصا كتب في لغة الأصل، إلا أنه اعتبر أن ما يربط الجنس البشري أكبر مما يُفرّق بينهم » (Nida, & Taber, 1969, p. 4) لتتكون بالتالي قاعدة للتواصل حتى بين الثقافات المختلفة. وقد كان **ياكبسن** (**Jakobson**) سبّاقا في التطرق إلى هذا الموضوع معتبرا أن كل خبرات الإنسان قابلة للانتقال بين مختلف الثقافات. كما اعتبر الفيلسوف الإسباني أورتيقا (**Ortega**) أن «الصعوبة والمشقة التي تكتنف نشاط الترجمة لا تمنع ممارستها، بل تعد تأكيدا وإشادة برونقها». (Hurtado Albir, 1990, p. 20)

انصبّ اهتمام الكثير من الباحثين على العنصر الثقافي الذي يجعل الترجمة تُصـــاحب موضوعا معقدا لا يكفي فيه حضور الجهاز اللغوي بمعزل عن الجهاز السوسيو ثقـــافي، لأن الترجمة نقطة التقاء بين الثقافات أو تواصل ثقافي، ذلك لأنها تتلازم وســـياق ثقـــافي يحـــتّم إضافة الأفق غير اللساني إلى نظرية الترجمة. ومن هنا وجب الانطلاق من مقولة لغة – ثقافة بدل مقولة لغة، اعتبارا لعدم وجود اللغة خارج السياق الثقافي. (Ladmiral, 1994, p. 18)

وبولوج العنصر الثقافي في الترجمة، أصبح المعنى يعرّف بمقتضى حقوله الثقافية والسياقية، والترجمة بعملية تأويلية تعنى بإعادة صياغة ونقل نظرة إلى العالم خاصة بشعب أو أمة إلى نظرة أخرى خاصة بشعب أو أمة مغايرة. وشكّل هذا التوجه أبرز تحول شهده الدرس الترجمي تزامنا مع نشر كتاب "**الترجمة التاريخ والثقافة**" سنة 1990 من تأليف الثنائي سوزان باسنت وأندري لوفافر (**S. Basnett et A. Lefevre**) وعُرف هذا التحول باسم "**المنعرج الثقافي**" **Le Virage culturel– cultural turn**، ومن أهم مخرجاته تجاوز الدرس الترجمي النظريات اللغوية بسبب محدوديتها، وتحول مركز الاهتمام إلى ما وراء اللغة نحو النص بصفته وحدة تتصل به جوانب غير لسانية أهمها الجانب الثقافي والسياسي. وتتم ضمن هذا المنظور عملية تحليل الترجمة مع النظر في العلاقة بين اللغة والثقافة، وكذا كيفية تأثير هذه الأخيرة في الترجمة.

في ظل هذا المفهوم، صارت مظاهر الاختلاف تتجاوز النصوص مثيرة النقاش حول موضوع الهوية الثقافية واحترام الآخر الذي لم يُنظر إليه إلا من خلال مرجعية الثقافة المستقبلة ومفاهيمها. وببروز مفهوم ترجمة " **الآخر l'Autre**" أو "**الغيرية Altérité**"، خاصة في سياق العولمة والتحولات الاجتماعية الكبرى التي شهدها العالم بأسره، ظهرت إلى الوجود مسائل أخرى مثل السياسة الترجمية والأخلاق والأيديولوجية لتضاف إلى سجل الترجمة الحافل بالعقبات. لقد «كان جل المترجمين على دراية بالمشاكل المتنوعة التي تطرحها الفروقات اللغوية والثقافية، غير أنهم ما انتهوا عن ممارستها رغم كل المعوقات، يقينا منهم أنه لا يمكن لأي ثقافة أن تقوم بمعزل عن غيرها من الثقافات». (إ. ز خورشيد، المرجع السابق، ص 3).

2. الترجمة وحوار الثقافات

من المعلوم أن الثقافات لا تكتسب خصائصها بالانعزال، إذ «لم يشهد التاريخ يوما قيام حضارة أو ثقافة أمة ما بمعزل عن الحضارات أو الثقافات الأخرى، ذلك أن تزاوج الثقافات هو الذي ينمي كل ثقافة ويثريها، فإذا تقوقعت ثقافة على نفسها كان مثلها كمثل الأسرة تقتصر في التصاهر على الأقرباء فحسب فيضعف فيها النسل وتدركها الآفات والعلل فتعقم ويصيبها الشلل والجمود. وتتزاوج ثقافة بلد ما بثقافة أجنبية عنها إما عن طريق الوفادة، أو عن طريق الاجتلاب. والوفادة تحدث بالغزو أو بالتحاور والتبادل التجاري. أما الاجتلاب فيحدث عندما ينمو وعي أمة ما تهيأت لها ظروف اليقظة الفكرية فتطلعت إلى البلاد الأخرى تنقل عنها علومها وفنونها وأسباب نهضتها المختلفة. وإذا تطرقنا إلى الأثر المتبادل في النواحي الثقافية المختلفة وضروب الإنتاج العقلي، نجد أن الدارسين في ميدان العلوم، نظرية أو علمية، قد أتيح لهم في جميع العصور أن يتواصلوا تواصلا فعليا وأتاحوا للمؤثرات العلمية ورسالة العلوم بأن تخترق الحدود والأقطار دون نشأة صعوبة جدية تعوق ترجمة المؤلفات العلمية ونقلها من لغة إلى أخرى. أما نقل الآثار الأدبية فتكتنفها صعوبات كثيرة في الترجمة من لسان إلى لسان. وهكذا نجد تعاونا في المجال العلمي في جميع أنحاء العالم، فالعلم لا وطن له، أما الثقافة فلها وطن.» (إ. ز خورشيد، المرجع السابق، ص 26).

و «يتبوأ الأدب باعتباره شكلا من أشكال الفنون مكانة بارزة في المشهد الثقافي، إلا

أن التعرف على الآثار الأدبية خاصة روائع الأدب التي أدركت العالمية، فهمها أو تذوقها لا يصبح ممكنا إلا إذا مرت بعملية الترجمة. و لو سلّمنا جدلا بأن الترجمة بعيدة عن أن تكون الوسيلة الناجعة لنقل الآثار الأدبية نقلا سليما، فإنها بالرغم من ذلك تكاد أن تكون الوسيلة الوحيدة لتوصيل الآثار إلى أذهان الناس في مختلف أنحاء العالم وتعرّفهم بها. فــلا يمكــن أن يختلف اثنان في القول بأن الترجمة هي بوابة مفتوحة على الآخر تُمكِنه من التعــرف علــى مختلف الشعوب ومميزاتهم، فعدّت أحسن سبيل للاتصال بتلك الثقافــات. فكــل الصــور والأفكار الثابتة التي رسمت عن الشعوب نجدها قد توافدت إلينا بفعل ترجمة آثارها الأدبية، أما وسائل الإعلام فتأتي بمثابة عناصر مكملة لتلك النظرة دون أن ننسى الدور الذي تلعبــه الترجمة في وهب تلك الآثار حياة جديدة». (G. Mounin,1976, p. 154)

في ضوء ما سبق، أصبح مصطلح " قابلية الترجمة " المفهوم الرئيسي لتلاقي الثقافات وتفاعلها والتبادل بينها. وعدّت الترجمة الأدبية وسيلة لمد جسور الحوار بين الثّقافات، وآلية للانفتاح على قضايا الهوية والعلاقة مع الآخر، وأداة يتحقّق بفضــلها التّواصــل الثّقــافي والإبداعي والأدبي، وترتسم بموجبها صور الشّعوب، الشيء الذي من شأنه أن يســاهم في إرساء مبدأ الاحترام و إحلال السلام بينها. يقول ستانتشيف **Stancev** :

« The literature of a people reflects their way of life, their vision of the world and their cultural values. This highlights, as just pointed out, the importance and nobility of the translator's task of bringing different peoples together via a mutual knowledge and understanding of their literatures, thus opening new paths towards mutual respect and peace» (Mohamed Alhussin & Hesham Hassan, 2009/2010, p. 37)

ومفاد قوله « أن أدب الشعوب يعكس طريقتهم في الحياة ونظرقم إلى العالم وقيمهم الثقافية. ومن شأن ذلك أن يبرز أهمية ونبل مهمة المترجم التي ترمي إلى فتح سبل للتقارب بين مختلف الشعوب والتعارف والتبادل بينها وفهم آدابها، سبل جديدة تؤدي إلى الاحترام المتبادل والسلام.» (ترجمتنا)

كثيرا ما « اقترن تعريف الترجمة بالنقل بين اللغات، إلا أن الأمر لا يقتصر على النقل بل تجاوزه إلى التواصل بين مختلف الثقافات والتعارف ليس بمقتضى وجهة نظر الثقافة التي ننتمي إليها، بل بخصائص الثقافة الأخرى. كما قمدف الترجمة إلى الانفتاح الذي تطفو على إثره المميزات الخاصة بكل ثقافة كي تسمح لنا بمعاينة اختلافها، وبهذا الشكل يتسنّى لنا التمييز بينها بفضل نسبة غرابة بعضها عن بعض. لكن كثيرا ما تنكرت بعض الثقافات لثقافة الآخر لسبب أو لآخر. ومنه، وجب النظر في الهدف من العلاقة بين الثقافات وفقا للأهداف المرجُوة منها حتى يرتسم مسار الترجمة: إما أن تتمّ عملية ترجمة الثقافة بمقتضى تعابيرها الخاصة إلى ثقافة أخرى، أو أنها تحاول أن تُعرف بنفسها في الثقافة الأخرى بمقتضى الخصائص اللغوية للثقافة المستقبلة. فإذا انطبق الأمر على الحالة الثانية، نكون قد رسمنا حدودا للترجمة الأدبية إذا اعتبرنا أنه لا يمكن فهم مميزات الثقافات الأخرى إلا إذا كُيّفت مع ما يتماشى ومرجعيات الثقافة المستقبلة، فتخضع لعملية التغيير والتشويه بغية ملاءمتها. في حين، تضطلع الترجمة بمهمة الحوار بين الثقافات وتبادل الأفكار ونشر المعرفة، فهناك

ترجمات تمحي كل اختلاف ثقافي وأخرى تُضخم فيه، وهناك ترجمات تنجح في الحفاظ على هذا الاختلاف وتحترمه، فيُصبح بهذا الشكل من الضروري التفريق بين أنماط الترجمات قبل استعمالها في المقارنة.» (Mounin, 1963, p. 155)

والحقيقة أن الثقافات تكتسب خصائصها باحتكاك بعضها ببعض في مساحة بينيـــة حتى وإن كانت لا تعكس بدقة مميزات كل منها، لكنها تسمح على الأقل لكل واحـــدة أن تعكس نفسها في الثقافة الأخرى، ولا يتجسد ذلك فعليا إلا بتقوية الوعي بضرورة تلاقـــي الثقافات أين ترى كل ثقافة نفسها تنعكس في مرآة ثقافة أخرى تلتقي بها. وفي هذا السبيل، تنفتح الأبواب لمفهوم " الغيرية" الذي يعد مفهوما جوهريا في المبحث الثقافي، ويبقى عبـــارة عن فرضية مجردة لا تصبح ملموسة إلا إذا تجسدت على أرض الواقع. وتتحـــدد مختلـــف المظاهر التي تأخذها " الغيرية " في الترجمة وفقا للأسلوب الترجمي الذي نختاره، فهي تأخـــذ أشكالا متميزة لا يمكن إدراكها إلى حين تمظهرها فعليا في الممارسة، فترجمة "الآخر" تعني أن تأخذ "الغيرية" حقها دون إخضاعها للفرضيات المسبقة.(Wolfgang Iser, 1994, p. 13)

هكذا ظلت رهانات التثاقف في قلب التفكير الذي يصاحب الممارسات الترجمية التي يفرضها كل انتقال لغوي بين نصوص تم إنتاجها ضمن سياقين ثقافيين مختلفين، ويطرح إشكالية ثقافية لارتباط هذه الممارسة بعلاقة بعض الآداب ببعضها الآخر وبالأيديولوجية أي بالسياسة التي لا تقتصر على الأمن القومي أو الاقتصادي فحسب، بل بسياسة ثقافية

وسياسة في الأدب والترجمة. ويأخذنا الحديث في سياق سياسة الترجمة، إلى الحديث عن تلك العوامل التي تتحكم في اختيار أنواع النصوص، ليتم استيرادها عبر عملية الترجمة إلى لغة/ثقافة معينة في زمن معين، ويمكننا الإقرار بوجود هذه السياسة بقدر ما كان الاختيار موجها ومدروسا. (Toury in Venuti, 2000, p. 202). حيث تتجسد هذه الممارسات عبر استراتيجيات تتباين بتباين المنهجية أو النظرية التي تمليها الرهانات على المترجم ويظهر إثرها موقفه من الترجمة.

المبحث الثالث: إشكالية ترجمة النصوص الأدبية

تمهيد :

للنص الأدبي مميزات وخصائص لغوية وثقافية ذلك لأن اللغة هي عنصر أساسي من عناصر الثقافة المحدّدة لهوية المجتمعات وتاريخها، والوعاء الذي يحوي هذه المميزات ويحفظها. وقد أخذ البعد الثقافي قسطا وافرا في الدراسات الترجمية نظرا لأهميته في الممارسة الترجمية وأثره في تحديد منهجية الترجمة التي تُلبّي الهدف المرجو من العملية، وهذا ما يدفعنا إلى إدراك الصعوبات في ترجمة هذه المميزات حتى تضطلع الترجمة بالدور المسند إليها.

ما طبيعة العوامل والخلفيات التي تطرح إشكالية ترجمة النصوص الأدبية بمميزاتها الغوية والثقافية؟

1. خصائص الترجمة الأدبية

الترجمة الأدبية فرع من فروع الترجمة تعنى بترجمة الأدب بأنواعه المختلفة مثل الشعر والرواية والمسرح وما إلى ذلك، وتقتضي نقل النصوص الأدبية من شفرة لغوية إلى أخرى وذلك ابتغاء نقل المعنى الذي قد يكون إما إحاليا محضا (**référentiel**)، بمعنى إحالة القارئ إلى دلالة الألفاظ التي يريد المؤلف أو صاحب النص التعبير عنها، وإما أدبيا فيتضمن عناصر بلاغية وبنائية وفنية متجاوزا بذلك إلى المغزى (**signification**) والتأثير (**l'effet**) المفترض أن يعتزم المؤلف إحداثه في نفس القارئ. (م. عناني، 1998، ص 6)

وتُعد الترجمة الأدبية بالنظر إلى طبيعة النص الأدبي ولغته، من أصعب الترجمات مراسا لأنها تتميز بإشكالية مُركبة متعددة المشارب تحكمها شروط إبداعية وجمالية وأسلوبية ولسانية وغير لسانية، الأمر الذي أدّى ببعض المنظرين إلى مد أفق الترجمة إلى شعرية ترجمية تفترض نظرية أدبية تربط ذاتية المترجم بترجمة الأثر وليس الإجراء ليصبح المترجم كاتبا شريكا (co-auteur) أو كاتبا معيدا (réécrivain). (Ladmiral, 1994, p. 21). ويُعتبر المترجم مبدعا ثانيا بالنظر إلى تباين لغة النص الأصل والنص الهدف، لأن الأمر يتطلب منه جهدا أشق من الجهد الذي يُبذل في التأليف، ذلك أن المترجم يكون محصورا في كلام المؤلف ومعانيه وليست له الحرية في اختيار الأفكار والمعاني التي تحلو له. فلن يتسنى له العمل إلا في

ظل معالم نفسية محددة يفرضها النص المصدر الذي يجب أن يتحسّس تفاصيله ويحافظ على أصالته دون تشويه.(إ. ز خورشيد، 1978، ص 5)

وفي كون المترجم قارئا ومعيدا لكتابة النص، فهو يتبوأ مهمة مزدوجة تتمثل في إدراك شحنة المعاني ضمن ثقافة النص الأصل ولغته، ونقل الشحنة نفسها من خلال مادة لغوية مناسبة لقرّاء النص الهدف. (Mason in Bahaa-eddin, 2011, p. 5). لأجل ذلك، وجب عليه مد جسور الحوار بينه وبين النص الأصل وصاحبه دون إهمال المتلقي حتى ترتسم أمامه أهداف النص والترجمة والمتلقي. كما هو مطالب بإعادة إنتاج عمل فني يعادل الأصل شكلا ومضمونا والحرص على خلق أثر كفيل بإثارة رد فعل عاطفي وانفعال جمالي يماثل إلى حد ما ذلك الذي يخلفه النص الأصل. وفي هذا السياق، تقول جوئيل رضوان (1985) :

> La traduction littéraire doit rendre compte avant tout d'une création originale régie par des critères esthétiques et non plus seulement fonctionnels ou purement linguistiques. (p. 176)

ومعناه «أن الترجمة الأدبية عملية إبداعية تخضع لمعايير جمالية فنية لا تقتصر على المعيار الوظيفي أو اللغوي المحض». (ترجمتنا)

وتكون الترجمة في النصوص الأدبية أصعب منها في العلمية أو الإخبارية لأن العمل الأدبي ليس فكرة أو خبرا محمولا فحسب وإنّما تجربة إنسانية تحمل في طيّاتها أحاسيس وعواطف وتصورات مختلفة تعكس الإرث التاريخي والشحنة الثقافية الكامنين في مكوناتها التي لا يمكن إهمالها بأي شكل من الأشكال. لذا وجب على المترجم حينما يتعامل مع

النص الأدبي أن يحرص على إعادة تشكيل المكافئ الطبيعي الأقرب لرسالة لغة المتن، في لغة المتلقي للترجمة أولا من ناحية المعنى وثانيا من ناحية الأسلوب. (إ. بيوض، المرجع السابق، ص 37). وفي سياق الحديث عن الأسلوب، يقول لاندرس Landers :

> style is not a consideration so long as the informational content makes its way unaltered from SL to TL… In literary translation, the order of the cars – which is to say the style – can make the difference between a lively, highly readable translation and a stilted, rigid, and artificial rendering that strips the original of its artistic and aesthetic essence, even its very soul. (Landers in Bahaa-eddin, op cit, p. 2)

ومعناه أن « لا يلقى الأسلوب في الترجمة الفنية على سبيل المثال اهتماما كبيرا طالما تجد المعلومة طريقها دون تغيير من النص الأصل إلى النص الهدف ... أما في الترجمة الأدبية ... يمكن للأسلوب أن يميّز بين ترجمة حيّة تشد إليها القرّاء، و ترجمة عرجاء جامدة ومصطنعة تُجرّد الأصل من جوهره الفني الجمالي وحتى روحه». (ترجمتنا)

كما تتطلب الترجمة الأدبية حسب ريفاتيري :

> « literary translations must reflect all the literary features of the source text such as sound effects, morphophonemic selection of words, figures of speech». (Riffaterre in Bahaa-eddin, ibid, p. 3)

أي أن « تتطلب الترجمة الأدبية الحفاظ على أسلوب النص الأصل أي الكلمات التي يختارها الكاتب أو الطريقة التي يبني بها تراكيبه، وأن تعكس جميع سماته الأدبية مثل الآثار الصوتية واختيار الكلمات والصور البيانية». (ترجمتنا). إذ نجد أن « طبيعة عملية الترجمة

(الأدبية) هي نقل يحدده المحتوى والشكل، المحتوى الذي يتشكل من المعاني، والشكل الذي يحدّده الأسلوب» (إنعام بيوض، المرجع السابق: 34) فالشكل في النصوص الأدبية « ليست له وظيفة ترابطية فقط، بل وظيفة جمالية أيضا (...) إذ لا يكفي تحقيق التطابق اللساني بين العمل الأدبي وترجمته، بل يجب تحقيق التطابق الفنّي أيضا». (المرجع نفسه، ص 37).

ولعل خصوصية الأسلوب وظاهرة الغموض المتواجد في ثنايا الرموز والإيحاء من أهم ما يميّز النصوص الأدبية ومن أكبر خصائص الخيال الأدبي، وهي تشكل أكبر تحد قد يواجهه المترجم يُجبره على بذل جهد مضاعف ليتمكن من معانيه، حيث يتضـــمن الـــنص الأدبي حسب جوئيل رضوان « المعاني المصرّح بها « ce qui est dit» والمعاني الضـــمنية «et le non dit» ومقاصد الكلام «le vouloir dire» » (المرجع السابق، ص 177). و يقـــول جـــورج مونان في السياق نفسه (1963):

> Quand on dit que la traduction est impossible neuf fois sur dix on pense à ces connotations qui mettent en cause, non seulement la possibilité de transfert de civilisation, de « vision du monde » à « vision du monde », de la langue à la langue, mais, finalement, d’individu à individu même à l’intérieur d’une civilisation, d’une vision de monde d’une langue qui leur sont communes. (p. 168)

ومعناه «أننا إذا سلّمنا باستحالة الترجمة، سيقودنا الأمر تسع مرات من عشر إلى التفكير في الإيحاءات التي تقف عائقا أمام نقل حضارة من "نظرة إلى العالم" إلى نظرة أخرى، من لغة إلى أخرى، بل حتى بين أفراد تجمعهم الحضارة الواحدة والنظرة إلى العالم الموحدة واللغة

المشتركة». (ترجمتنا). فمعاني النص الأدبي لا تتجلى بوضوح إلا لقارئ مُتَروٍ في القراءة مُلمٍ بلغة الأدب وخصائصها، الشيء الذي يُحتِم على المترجم التحلّي بهذه الصفات حتى يتسنّى له فهم النص وسبر أغواره وتأويل معانيه واكتشاف نظامه وخصائصه مستعينا في ذلك بكفاءته اللغوية والموسوعية وحتى النقدية.

لقد أدرك المنظرون صعوبة الترجمة الأدبية وأنها لا تُتاح إلا للمترجم المتمرّس الماسك بزمام خصائص الإبداع الأدبي، لذلك «كان المترجمون الأكفاء في بداية ق20 في أغلب الأحيان أنفسهم أدباء» (Y, Hellal, 1986, p. 10)، و « أن أول شرط يتبادر إلى أذهانا أن يكون المترجم المنتج للأثر الأدبي الذي يحاكي الأثر المُترجَم، هو نفسه أديبا راسخ القدم في التأليف الأدبي ولا يكفي أن يكون مُلما أحسن إلمام باللغتين، فالأدب روح واستعداد وسليقة وهذه أشياء لا تستند إلى طبع في النفس ولا تُكتسب». (محمد عوض، 1969، ص 29). ومعناه أن يكون المترجم أديبا مُلما بالأدب وقواعده ومدارسه وفنونه، يتحلى بحس أدبي وذوق فني. فإن لم يكن كذلك، فأقله أن يكون متذوقا للأدب محبا لفنونه إذا لم تتيسر له ممارسة الأدب إنتاجا، ليتمكن من رصد أفكار الأديب ومشاعره وأحاسيسه ويتمكن من نقلها بكل دقة وصدق، إذ يحتوي كل أثر أدبي على معنى ضمني لا يتطابق مع المعنى المادي أو اللغوي، لا يمكن لسواه أن يُحدث في أنفسنا الأثر الجمالي الذي أراده المؤلف، وهذا المعنى هو الأجدر بالنقل.

فالترجمة الأدبية لا تعني أن نحسن نقل الكلمات من لغة إلى أخرى بل التمكن مـــن نقل المشاعر والروح التي فيها وكذا الأحاسيس والمشاعر التي تختلج صدور الأدبـــاء نقـــلا حقيقيا، «ولا تتوقف حاجة المترجم خلال عملية ترجمة النصوص إلى كفاءة لغوية في كلتـــا اللغتين المنقول منها والمنقول إليها فحسب، بل تتعداهما إلى معرفة كلتا الثقـــافتين وتقاليـــد التعبير فيهما». (Enkvist in Bahaa-eddin, op cit, p. 5)

وضمن هذا الأفق، يطرح النص الأدبي بالنظر إلى بنائه اللغوي الخاص إشكالية تفعيل الترجمة المناسبة التي تتطلب كفاءة واندماجا في اللغة الأصل واللغة الهدف وثقافتيهما قصد الإبقاء على كيانه المتميز وأصالته. أما من الجانب العملي، فيبرز إشكال ترجمة الخصائص الثقافية في كيفية نقلها إلى النص المترجم من حيث انصهارها في الثقافة المستقبلة أو تمسكها بالأصل. فلم يثبت المنظرون في ميدان الترجمة على رأي واحد وانقسموا إلى فريقين لكل منطلقه وحججه، منهم من يعطي الأولية للنص الهدف بمميزاته اللغوية والثقافية (**les ciblistes- Target oriented translation**)، ومنهم من يعطي الأولية للنص الأصل كذلك بمميزاته اللغوية والثقافية (**les sourciers- Source oriented translation**).

2. إشكالية ترجمة البعد الثقافي

تكون الترجمة كما أكدته الممارسة دائما ذات نزعة مثلها مثل أي فعل تواصلي، وهي بالتالي تجعل النصوص تفقد بدرجات متفاوتة شيئا منها، فأملت على المترجم أن يحدد أولوياته ويأخذ اتجاها يستجيب للهدف المرجو من الترجمة وموقفا إزاء المتلقي، لغته وثقافته.

فبالرغم من التطور الذي شهده حقل الترجمة واكتسابه صفة العلم القائم بذاته له صلة بفروع علمية متعددة، إلا أن المناهج لم تشهد تغييرا سوى في الشكل والعناوين، حيث لا يزال السؤال الجوهري حول علاقة الأصل بالترجمة يشغل فكر المترجمين ويطرح نفسه بشدة تحت لواء ثنائية "الأمانة/الخيانة". وقد تباين الرّد عن سؤال علاقة الأصل بالترجمة بأشكال ومفاهيم متعددة، البعض يربطها بالترجمة كلمة لكلمة أو باحترام معاني النص الأصل، والبعض الآخر بل أغلبهم يربطها بطريقة شيشرون التي نقل بها عن الإغريق أو بطريقة الحسناوات الخائنات، بالامتثال للأنماط المحلية وإيثار اللغة والثقافة المستقبلة، حرصا منهم على معايير الأناقة في الأسلوب وجمال الشكل والوضوح وضرورة التكيف مع الذوق المعاصر، بالإضافة إلى إكراهات تجارية اقتصادية يحددها سوق واستهلاك الترجمة.

وغالبا ما تُثير إشكالية ترجمة البعد الثقافي خلفية أيديولوجية تتطلب إما التحكم في البعد الأيديولوجي المُحدّد لأساليب الترجمة على غرار مفهوم **أنطوان برمان Antoine Berman**

في الترجمة الأدبية الداعي إلى احترام معاني النص الأصل والانفتاح على ثقافة الآخر والتصدي لنزعة التمركز حول الذات. وإما العمل تحت تأثير أيديولوجية تتنكر لثقافة الآخر وتعكس أفكار المترجم ونظرته إلى العالم وتاريخه وبيئته وعقيدته وثقافته، مثلما هو الحال في مفهوم **إعادة الكتابة Réécriture** الذي أسّسه أندريه لوفافر (**André Lefèvre**) والذي يبرُزُ فيه تأثير عنصر الأيديولوجية في كل الخيارات التي يقوم بها المترجم.

2.1- مفهوم أنطوان برمان في الترجمة الأدبية

يعد أنطوان برمان **Antoine Berman** من دعاة الحرفية في الترجمة. وقد اكتسب مفهومه النابع من ممارسته الخاصة للترجمة مكانة خاصة في حقل الدراسات الترجمية، حيث كان ممارسا للترجمة قبل أن يكون منظرا، وقد كان للرومانسيين الألمان وشعرية مشونيك (**Meschonic**) الأثر في سن مفهومه. لقد ساهم بفكره في إرساء معالم لعلم الترجمة بوصفه حقلا من حقول المعرفة، ومجالا أساسيا وشرعيا للفكر النقدي، حيث يرى أن العمل في هذا الحقل يبقى أبديا مرتبطا بمفهوم الأمانة والخيانة. فالترجمة بالنسبة لأنطوان برمان « تعني الولاء لسيدين، إما خدمة الكاتب ولغة الأصل في المقام الأول، أو خدمة القارئ ولغة وثقافة المترجم في المقام الثاني. وهنا تكمن مأساة المترجم.» (Berman, 1984, p. 11)

وعندما يراهن المترجم على خدمة الكاتب واللغة الأصل عملا بمقولة شلايرماخر الدّاعية إلى « تقريب القارئ من الكاتب » تفاديا للتشويه الذي قد يمسّ الخطاب بفرض غرابتها الأصلية على ثقافته، فإنما يراهن بظهوره غريبا في عقر ثقافته، خائنا في نظر قومه، ويمكن أن ينتهي به الأمر إلى إنتاج عمل يتّسم بالغموض. وحين يترع المترجم إلى تكييف النص الأصل عملا بالشطر الثاني من مقولة شلايرماخر الدّاعية إلى « تقريب الكاتب من القارئ » فهو بهذا الشكل يكون قد سعى لإرضاء الفئة الأقل تطلُبا من القرّاء، لكنه يكون قد خان وبصفة مطلقة النص الأجنبي، إضافة إلى إخلاله بطبيعة وروح العمل الترجمي ذاته. (Schleiermacher, op.cit, p. 24)

وقد سعى برمان في ظل أنواع الإكراهات التي تعيق الترجمة إلى تعريفها في السياق الثقافي كاشفا عن حقيقة حوار الثقافات في قوله :

« Toute culture résiste à la traduction même si elle a besoin essentiellement de celle – ci. » (Berman, op cit : 15)

ومفاد قوله أن «كل ثقافة تأبى الترجمة وإن كانت في حاجة ماسة إليها» (ترجمتنا). كما يرى أن الهدف من الترجمة يتمثل في فتح حوار مع **الآخر l'Autre** عبر الكتابة وتلقيح ما هو ذاتي بواسطة «**الأجنبي l'étranger**»، الأمر الذي يصطدم رأسا **بالنزعة العرقية Ethnocentrisme** التي تثيرها نرجسية تدفع بكل ثقافة للشعور بأنها ثقافة كاملة مكتفية بذاتها، حيث يقول برمان أيضا:

> Toute culture voudrait être suffisante à elle-même pour, à partir de cette suffisance imaginaire, à la fois rayonner sur les autres et s'approprier leur patrimoine». (Berman, ibid : 16)

ومعناه أن «كل ثقافة تريد أن تكتفي بذاتها، وهي تسعى انطلاقا من هذا الاكتفاء الوهمي أن تهيمن على الآخرين وتمتلك إرثهم الثقافي» (ترجمتنا). ولعلنا نجد في مناهج الثقافة الرومانية القديمة والثقافة الفرنسية الكلاسيكية وثقافة أمريكا الشمالية أصدق مثال.

والحال أن الترجمة، حسب برمان، تحتل في هذا الوضع مكانا مبهما لأنها تخضع لإيعاز التملك يجعلنا نحصل على ترجمات ترتكز على الذات **Ethnocentrique** أو " **ترجمات سيئة Mauvaise traduction** " حسب وصفه، ثم نجد أن هذا الإيعاز يتعارض

بصفة طبيعية مع الهدف الأخلاقي للترجمة «لأن جوهرها يكمن في كونها انفتاح وحوار وتمازج ولا تمركز» (ترجمتنا).

«L'essence de la traduction est d'être ouverture, dialogue, métissage, décentrement.» (Berman, ibid : 16)

ورغبة منا في تحديد مسار حديثنا عن مفهوم أنطوان برمان في الترجمة الأدبية، سنحاول في ما يلي تسليط الضوء على أهم مقومات مفهومه بتسليط الضوء على البعد الأخلاقي في الترجمة أولا، والترجمة الحرفية ثانيا.

2.1.1– البعد الأخلاقي في الترجمة La dimension éthique de la traduction

عمل أنطوان برمان على بلورة تصور مناهض للتمركز العرقي في الترجمة الذي « يتم وفقه إرجاع كل شيء إلى ثقافة المترجم ومعاييرها التي تعتبر كل غريب سلبي يتعين إخضاعه للثقافة المستقبلة ونقله لإثراء تلك الثقافة.» (Berman,1999, p. 29) ويعد هذا التطور في نظريات الترجمة بمثابة **منعرج أخلاقي** **Virage Ethique** وقّع أنطوان برمان على شهادة ميلاده بصدور كتاب " **امتحان الغريب** **L'épreuve de l'étranger** " سنة 1984.

يُطلق مصطلح الأخلاق في حقل الترجمة حسب شلايرماخر على البعد الثقافي للترجمة، ولا ينحصر الأمر في علاقة أخلاقية مع الآخر لكن مع لغة وثقافة أخرى.

(Schleiermacher, op cit :22) . فإذا كان **مشـــونيك** (**Meschonic**) يـــربط الأخـــلاق بالشعرية و احترام **الإيقاع** (**rythme**) في الترجمة، يرى أنطوان برمان (1984) بأن:

L’éthique de la traduction consiste sur le plan théorique à dégager, affirmer et à défendre la pure visée de la traduction en tant que telle». (p. 17)

بمعنى أن «الأساس النظري لمفهوم الأخلاق في الترجمة هو استظهار هدف الترجمة في الشكل المنوط بها والتأكيد عليه والدفاع عنه» (ترجمتنا).

وعند التساؤل عن فحوى البعد الأخلاقي في الترجمة، نجده يتعلق بمفهوم الأمانة والدقّة اللتين تجسدان رغبة المترجم في الترجمة، إذ لا يمكن حصر معنى الترجمة في مفاهيم الاتصال أو نقل الرسالة أو إعادة الكتابة فقط. كما أنها ليست نشاطا أدبيا وجماليا خالصا حتى و إن كانت وثيقة الصلة بالممارسة الأدبية الخاصة بوسط ثقافي معين، فهي لا تأخذ معناها الحقيقي إلا إذا رافقها بعد أخلاقي يسيرها. و يتوافق ذلك مع قول أنطوان برمان (1984) :

Traduire c'est bien sur écrire, et transmettre. Mais cette écriture et cette transmission ne prennent leur vrai sens qu’à partir de la visée éthique qui les régit » (p. 17)

ومفاد قوله أن «عملية الترجمة هي بطبيعة الحال تحرير ونقل لا يكتسبا معناهما الحقيقي إلا انطلاقا من بعد أخلاقي يسيرهما.» (ترجمتنا). لقد ربط برمان البعد الأخلاقي في الترجمة

بمبدأ الاعتراف بالآخر، وأعطى الامتياز للعلاقات بين الثقافات ولِما هو " ذاتي " مع " الآخر "، لأن طبيعة الترجمة تحمل مفهوم الانفتاح والحوار والتمازج واللاتمركز، مؤكدا على أن :

« L'acte éthique consiste à reconnaître et à recevoir l'Autre en tant qu'Autre » (Berman, 1999 : 74)

أي أن «الفعل الأخلاقي في الترجمة يتمثل في الاعتراف وفي قبول الآخر كما هـــو عليـــه» (ترجمتنا)، واستقباله في غرابته كغريب بدلا من إبعاده أو محاولة الهيمنة عليه.

ويرى برمان أن الترجمة تنتسب في أصلها إلى البعد الأخلاقي، وفي جوهرهـــا تـــثير الرغبة في الانفتاح على الأجنبي بغرابته وعلى لغته الخاصة، بالرغم من أن منطق العلاقـــات والتبادل الذي يتم فيه تلقيح ما هو ذاتي بواسطة الآخر يصطدم بمقاومة متأصلة في تركيبـــة النزعة العرقية الخاصة بكل ثقافة متمسكة بالحفاظ على انكفائها. إلا أن أنطوان برمان قـــد أكد بأن للعمل الترجمي منطق آخر وهو منطق الأخلاق.

لم يسلم مبدأ الأخلاق في الترجمة من النقد خاصة على يد **أنطوني بيم** (**Anthony Pym**) في كتابه " **من أجل أخلاق للمترجم** " **Pour une éthique du traducteur** ، بالرغم من ثنائه على عمل برمان مثمّنا الفكر الذي خصّ به الممارسة الترجمية. وعلى الرغم من مشاركته الرأي في مسألة أخلاق الترجمة، إلا أنه أثار جدلا حول نظرته للأخلاق الـــتي يرى أنها أفكار أكاديمية ومجردة، و يعتقد بأن نظريته لم تحدث تغييرا في العمل الترجمي لأنها أخلاق خاصة بالترجمة **Une éthique de la traduction** وليست أخلاق خاصة بالمترجم

Ethique du traducteur. (Antony Pym, 1997, p. 11). لكن يبقى أنطوان برمان سبّاقا في إثارة خطاب الأخلاق في ميدان الترجمة رغم النقد والتشكيك في أثر نظريته على الدرس الترجمي.

2.1.2- الترجمة الحرفية عند أنطوان برمان

إذا كان البعد الأخلاقي للترجمة يقوم على أساس استقبال الأجنبي والحوار مع الآخر، فلا يسع المترجم في هذه الحالة إلا التقيُّد بحرفية النص، إذ يرتبط مفهوم الأمانة والدقة حسب برمان بحرفية النص ضمن الهدف الأخلاقي للترجمة واستقبال تلك الحرفيـــة. وإذا كانـــت الأمانة هي التي تجسد الهدف من الترجمة، فهي لا تكون إلا بالوفاء للكلمة وليس للمعنى.

حاول أنطوان برمان شرح تصوره للترجمة الحرفية في كتابه "**الترجمة و الكلمـــة أو مـــلاذ الغريـــب**"**La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain** (1999) بوصفه مصطلحا يحمل مظاهر خاصة لاستراتيجية تهتم بغيرية النص الأصل وبنظامه وغرابته قائلا:

« Nous partons de l'axiome suivant : la traduction est traduction de la lettre … Traduire la lettre ne revient aucunement à faire du mot à mot » (Berman, 1999, p. 25)

و أراد بقوله التعبير عن «وجوب الانطلاق من المسلّمة التي تعتمد على ترجمة الحـــرف … وأن الترجمة الحرفية لا تعني النقل كلمة بكلمة» (ترجمتنا)، إنها بالأحرى طريقة شبه الحرفية التي تأخذ بعين الاعتبار اختلاف التركيب بين الأنظمة اللغوية ورصيدها التراثي. والمقصود

من هذه الطريقة هو إدراج جمل صحيحة وسلسة و واضحة منسوجة على منــوال اللغــة المترجم منها ومتطابقة معها في أجزائها مع ضرورة الحفاظ على الحد الأدنى مــن هندســة الجملة بحيث لا يتأثر المعنى ولا يختلّ التركيب. فهي حرفية لها خصوصيتها تسعى إلى إبــراز غرابة النص الأصل. ويؤكد برمان على أن الترجمة الحرفية لا تعني الترجمة كلمــة بكلمــة، مستشهدا في ذلك بترجمة الأقوال المأثورة والأمثال الشعبية التي يمكن أن تجد لها مكافئات في لغة أخرى، حيث يجد المترجم نفسه في حيرة بين اختيارين: إما محاولة إيجاد مكافئ احتمالي، أو ترجمته ترجمة حرفية. في حين أن ترجمة قول مأثور لا تقتصر على إيجاد مكــافئ لكــل كلمة، بل يستدعى الأمر ترجمة مميزات أخرى منها النسق، الجناس الصــوتي، الطــول (أو القصر). (Berman, ibid, p. 14)

كما يرى برمان أن البحث عن المكافئات لا يعني إيجاد معاني ثابتة أو دقيقة يمكن تداولها في أقوال مأثورة مغايرة بمختلف اللغات، لأنه يرى في ذلك رفض لغة الترجمة الانفتاح لغرابــة الأصل، مثلما هو الحال بالنسبة لأساليب الترجمة عند الفرنسيين التي تجعل محور اهتمامهــا ينصب على المعنى المراد نقله وجعله أكثر وضوحا مع إزالة الغموض الذي يُصاحب غرابــة لغة الأصل.(Berman, ibid, p. 65)

كان لمفهوم أنطوان برمان لا سيما مبدأ الأخلاق في الترجمة الأثر الكبير في المُنظــر الأمريكي لاورونس فنوتي، وتجلى ذلك بوضوح في كتابــه « **فضــائح الترجمــة**» **The**)

(**Scandals Of Translation** (1998) وخصّص فصلا كاملا لهذا المفهوم جاء تحت عنوان " **نحو أخلاق في الترجمة Towards An Ethic of Translation**". حيث أشار في مقدمته بأنه اقتدى بأنطوان برمان مثنيا على مساهمته القيّمة ودوره في تجديد الفكر الخاص بالترجمة وإعادة النظر فيه، مؤكدا على ضرورة إبراز غرابة النصوص الأجنبية باعتبارها استرتيجية ترجمية تسمح بالحصول على ترجمة سليمة. كما نجده قد دعا إلى وجوب الاعتراف بالاختلاف والتعدد اللغوي والثقافي. وقد تجسدت معارضته لهذا التوجه في اقتراحه لمبدأ **التغريب في الترجمة** (**Foreignisation**) بمعنى الحفاظ على غرابة النصوص بمميزاتها اللغوية والثقافية نقيضا لمبدأ **التطويع** (**Domestication**) الذي يشمل كل استراتيجية تعمل على وضوح الترجمات وفقا للنماذج والمعايير السائدة في الثقافة المستقبلة عبر إحداث تغييرات في لغة الوصول. (Venuti, 1995, p. 20)

لقي مفهوم برمان قدرا من النقد والجدل خاصة على لسان **دوغلاس روبنسون** (**Douglas Robinson**) الذي أدرج في مقدمة كتابه «**ما الترجمة**» (**What is Translation**) (1997) نقدا لتيّار الترجمة الحرفية وإلى أنطوان برمان ولاورونس فنوتي بالدرجة الأولى، معتبرا الانفتاح على الآخر الذي دعا إليه برمان تعبيرا عن رغبة يثيرها الشعور بالذنب، وأن المقاربة الحرفية هي مقاربة **مثالية idéalistique** و **وهمية Utopique**. وأن رحلة الترجمة بحثا عن القارئ لا تحفز القارئ المتلقي بقدر ما تقوم بإبعاده عن الأجنبي،

وهو الأمر الذي دفعه إلى نبذ قواعد الترجمة الحرفية البرمانية معتبرا إياها إشـــادة بالنخبويـــة الثقافية **Elitisme culture** (نخبة المثقفين) وإقصاء غيرهم.

ونخلص القول بأن النموذج الذي قدّمه أنطوان برمان يرتكز على الدمج بين النظرية والتطبيق من خلال مفهومه في الترجمة الأدبية ودورها في بناء أسس للتبادل بين الثقافـــات، والوقوف على فهم أدق للعمل الترجمي وآفاقه، وبالرغم من النقد الذي طال فكره، جعلـــه يفتك التميُّز بين باقي النظريات. وأهم ما برز من مفهومه الأخلاق في الترجمة بوصفه مبـــدأ يضمن تفعيل عملية التلاقي بين الشعوب، والحرفية التي تعمل على إثراء اللغات والثقافات.

كما لا يفوتنا التنويه بالمنهج النقدي الذي تضمنه مفهوم برمان الذي نشر في كتابه " **مـــن أجل نقد للترجمة Pour une critique de la Traduction**" (1995) والذي طرح فيـــه النزعات التي تتخلّل الترجمة وتطال الأعمال الأدبية بالتشويه والتغيير حصرها في اثني عشـــر نزعة، وهو من أكبر مناهج النقد التي عرفها حقل الترجمة حديثا، لكنه مبحث يتطلب دراسة خاصة.

2.2- مفهوم إعادة الكتابة عند أندريه لوفافر Traduction comme réécriture

تطورت النظرية الترجمية وأخذت اتجاها انتقل فيه الاهتمام من الجانب اللغوي البحث إلى تفاعل الترجمة بالثقافة بصفته عنصرا فعّالا في تحديد مسارها، يتم التعامل من خلالها مع النص من جانبيه الثقافي والسياسي، مشكلا بذلك نقطة تحول كبرى شهدها الدرس الترجمي أطلق عليه اسم "**المنعرج الثقافي**"، وهو عبارة عن مصطلح مجازي للإعلان عن تغيير في مناهج الممارسة تحت تأثير الدراسات الثقافية التي باتت مرتبطة بحقل الترجمة.

يُعد **أندريه لوفافر** (**André Lefevre**) من أبرز المنظرين في مجال الأدب وأحد رواد المقاربة الثقافية في الدراسات الترجمية وأكبر المهتمين بالبعد الأيديولوجي في الترجمة. وقد نشأت بين يديه فكرة الترجمة باعتبارها شكلا من أشكال إعادة الكتابة التي استمدّها من نظرية تعدد النظم لإيفان زوهار (**Even Zohar**) و توري (**Toury**) وأعاد تعريف مفاهيم النظام الأدبي والمعايير.(Venuti, 2000, p. 217) . وقد عرض لوفافر من خلال بحثه علاقة الترجمة بالثقافة مركزا محور اهتمامه خاصة على معاينة العوامل الحقيقية التي تتحكم في تلقي وتقبل أو رفض النصوص الأدبية على غرار القوة والأيديولوجية والمؤسسات وعملية التصرف **Manipulation**. ويرى أيضا أن الشعوب التي تحتل مواقع القوة هي التي " تعيد كتابة " الأدب وتتحكم في استهلاكه. ولعل الدوافع الأساسية لاستعمال هذا الأسلوب قد تكون ذات مرجعية أيديولوجية (**Ideological**) تتم فيها مسايرة أو مخالفة الأيديولوجية

المهيمنة، أو تكون ذات مرجعية شعرية (**Poetological**). ويعني هذا أن "إعادة الكتابة" هي إما ذات دوافع إيديولوجية أو شعرية أو أنها مقيّدة بكلا الدافعين. ومثال ذلك، إشارة لوفافر إلى أعمال **إدوارد فيتزجيرالد** (**Edward Fitzgerald**) المترجم أو بالأحرى "معيد كتابة " أشعار عمر الخيام في القرن 19، الذي أباح لنفسه حرية الترجمة من أجل ترقية النص الأصل، وفي الوقت نفسه مطابقة التقاليد الأدبية المعمول بها عند الغرب في زمانه والاستجابة لها انطلاقا من قناعته بأن ثقافة الفرس أدنى مرتبة من ثقافة الغرب. (Munday, 2001, p. 127)

ويؤكد لوفافر بأن « أسلوب "**إعادة الكتابة**" هو الأسلوب الأكثر شيوعا [...] والأكثر تأثيرا في ممارسة الترجمة لأنها جديرة بإبراز صورة المؤلف و/أو أعماله في ثقافة أخرى، والتعريف بهذا المؤلف أو تلك الأعمال خارج حدود الثقافة الأصل.» (Lefèvre in Munday, ibid, p. 128)

و يعرّف تقنية إعادة الكتابة أو **الانكسار** **Refraction** على حد تعبيره بأنها :

> Refraction - the adaptation of a work of literature to a different audience, with the intention of influencing the way in which that audience reads the work. (Lefèvre in Venuti, op cit: 235).

ومعناه أن «إعادة الكتابة أو الانكسار هي عملية تكييف العمل الأدبي إلى جمهور مختلف بقصد التأثير على الطريقة التي يقرأ بها الجمهور المستهدف هذا العمل.» (ترجمتنا).

ويرجع بنا الأمر في هذا السياق إلى الحديث عن الترجمات المُنمقة التي تُخضع النصـــوص إلى التحسين بغية إنتاج أعمال تكون أرقى وأجمل من الأصل، وعادة ما يحدث ذلك بتكييـــف تلك النصوص مع النماذج الأسلوبية والجمالية السائدة في آداب الثقافة المستقبلة وذوقهـــا. وقد عُرفت هذه العملية منذ مائتي سنة خلت باسم **الحســـناوات الخائنـــات Les Belles Infideles**، وفي بداية القرن 20 ب **التكييف Adaptation** ، وهي تعـــرف الآن ب " **إعادة الكتابة** " إذ لم يتغير فيها سوى الدال. (G. Mounin, 1976, p. 31)

كما تحدث جورج باستن (**G. Bastin**) عن التكييف قائلا : « يمكن تعريف عملية التكييف على أنها مجموعة من العمليات الترجمية يتمخض عنها نص لا يمكن إدراجه في مصف الترجمات، لكن يتم بالرغم من ذلك الاعتراف بأنه نص يعادل الأصل». (Bastin in M. Baker, 2001, p. 5)

ولعل أشهر تعريف لمفهوم التكييف جاء على لسان **جان بول فيناي وجان داربليني Jean Paul Vinay et Jean Darbelinet** (1958): « التكييف إجراء يمكن استخدامه كلما كانت مرجعية سياق النص الأصل مفقودة في ثقافة النص الهدف، ممّا يستدعي اللجوء إلى شيء من الإبداع وإعادة الإنتاج.» (Vinay et Darbelinet in M. Baker, ibid, p. 5)

انطلاقا من هذا التعريف، يمكن القول أن الهدف من استخدام هذه التقنية هو تحقيق التكافؤ حينما ينعدم بين العناصر الثقافية في النص الهدف والنص الأصل.

كما قدّم **جورج باستن G. Bastin** جملة الإجراءات المستخدمة في التكييف نلخصها فيما يلي:

- نسخ أو استنساخ الأصل: استنساخ كلمة بكلمة لجزء من النص الأصل، وغالبا ما يصاحب هذا الإجراء الترجمة الحرفية.
- الحذف: إزالة أو إقصاء جزء من النص بغرض تطويعه.
- التوسيع: إظهار المضمر من النص الأصل وتجليته سواء في صلب النص أو على الحواشي أو في فهرس الكلمات.
- الغرائبية: استبدال الكلمات العامية، اللهجة، والكلمات الخالية من المعنى الموجودة في النص الأصلي بمكافئاتها في اللغة الهدف (و يمكن إدراجها أحيانا بخط مائل أو وضع سطر تحتها).
- التحديث: استبدال معلومات قديمة أو غامضة بما يكافئها في العصر الحديث.
- التكافؤ السياقي: إدراج سياق متعارف عليه بدلا من السياق المستخدم في النص الأصل.
- الإبداع: وهو استبدال كلّي للخطاب في النص الأصل بخطاب لا يحتفظ سوى برسالة النص الأصل وأفكاره و وظائفه الأساسية. (G. Bastin, in Mona Baker, ibid, p. 7)

لا يزال مفهوم التكييف يثير الكثير من الجدل بين معارض يصفه بالإجراء السلبي لاتصاله في غالب الأحيان بعمليات تشويه وهدم النصوص الأصلية والتصرف فيها، أو عمليات الحذف، الإضافة أو التكييف إلى ما هو محلي، وبين مؤيد يُشيد بدوره في نقل

الأدب الكلاسيكي واستمراريته ويصفه على أنه السبيل الوحيد الذي حال دون اندثاره على مّر القرون. وتتوافق النظرة السلبية للتكييف مع فكرة **فنوتي Venuti** المتعلقة **بالتطويع domestication**(نقيضا لقرينتها **التغريب foreignazation**). فالتطويع في الترجمة استراتيجية يتم فيها الاعتماد على شفافية الأسلوب وسلاسته وهي تعمل على طمس المميزات الثقافية للحد من غرابة النص بالنسبة للقرّاء في اللغة والثقافة الهدف. وفي نقده لتقنية التطويع، يرى **فنوتي** أنها استراتيجية تعتمد على «الحط من قيمة النص الأجنبي وجلب النص نحو مزايا اللغة والثقافة الهدف واستقبال المؤلف ضمنهما، حيث تجد هذه العملية مرجعيتها في المركزية العرقية (أو التمركز حول الذات)» (Venuti, 1995, p. 20) كما يربط **فنوتي** « عملية التطويع بالتجربة النرجسية للثقافة الهدف ليتسنى لها رؤية ثقافتها في ثقافة الآخر. وهو من بين الداعين إلى استراتيجية التغريب حفاظا على غرابة الترجمات (**Foreignized translation**) لفهمها والتعرّف عليها وإبراز التباين اللغوي والثقافي الموجود في النص الأجنبي الذي يعمل على إثراء اللغة والثقافة المستقبلة.» (Venuti, ibid, p. 20)

ونستخلص مما سبق أن الأعمال التي تنطوي تحت عملية التكييف تُنتج ترجمات يصبح فيها النص بعد ترجمته جزءا من ثقافة وأدب اللغة الهدف. وما دامت الترجمة موجهة للقرّاء في الثقافة الهدف، فمن الطبيعي جدا أن يعرض المترجمون نظرتهم وفهمهم للعالم

وطريقتهم في التعبير. وأن العناصر الثقافية هي من بين العناصر الأكثر خضوعا لهذه العملية أثناء الترجمة.

كما لا يفوتنا في هذا السياق الإشارة إلى دور شركات الطباعة والنشر وعلاقتها بتلقي ونقد الترجمات، إذ أصبح للتلقي والنقد وكذا سلطة دور النشر دورا كبيرا في تحديد مسار الترجمة، حيث ارتبطت عملية إنتاج الأعمال المترجمة ارتباطا وثيقا بالتلقي من جهة، وبالنقد من جهة أخرى. ويحيلنا ذلك رأسا إلى مفهوم **أفق الانتظار** (**Horizon d'attente**) الذي استخدمه **ياوس Jauss** للتعبير عن كل ما يرتقبه القارئ على العموم أسلوبا وشكلا ومضمونا من النوع الأدبي الذي ينتمي إليه. وأن النقد هو السبيل لجسّ عملية التلقي باعتباره جوهر ردود الفعل والانتقادات الموجهة إلى المؤلف والنص على حد سواء (Brown in Munday, 2001, p. 156)

كما أن دور النشر التي تُسيَّر بطبعها وفقا للمنطق التجاري وتخضع لمبدأ الربح والمنافسة كباقي المؤسسات، تعتبر الترجمة الأدبية مثلها مثل باقي المؤلفات عبارة عن نشاط اقتصادي يحكمه الجانب المالي، ويقتضي هذا المنطق في بعض الأحيان إزالة كل أثر لكاتب النص الأصل. ويضاف إلى هذه الشبكة وكلاء مؤلفي الأعمال الأدبية بوصفهم عنصرا فعّالا في معادلة الإنتاج الترجمي. ويمثل الوكلاء مجموعة من المؤلفين تكون لهم نسبة معيّنة من الأرباح عن تقديمهم لنصوص أدبية بغية ترجمتها إلى اللغات الوطنية لفائدة دور النشر التي تقوم بدورها بتوظيف مترجمين تتوفر فيهم الشروط المرجوة لإنجاز أعمال حسب الأهداف

المسطرة لها. ونجد الكثير من المؤلفين في مختلف اللغات يربطون نجاح أعمالهم بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية. والواقع أن إمكانية ترجمة عمل ما من عدمها تشكل أكبر سلطة تمتلكها دور النشر، دون أن ننسى هاهنا الإشارة إلى ميول الناشرين إلى اختيار الأعمال القابلة للدمج في الثقافة المستقبلة دون عناء. (Munday, ibid, p. 154)

كان الهدف من استقراء المفهومين إبراز الجدلية التي لازمت الترجمة منذ نشأتها القائمة بين الأمانة للنص الأصل والرضوخ لمتطلبات اللغة والقارئ في النص الهدف وتأثرها سواء بعناصر لسانية أو إكراهات خارج لسانية. وإذا سلّمنا أنها عملية تحصل بين لغتين وثقافتين مختلفتين، فهي تضع المترجم بين اختيارين: إمّا إعطاء الأولوية إلى لغة الأصل أو إلى لغة الوصول، و وفقهما يتحدّد الهدف من الترجمة. فبين هذا وذاك، نزعت نظريات الترجمة الأدبية بجميع مقارباتها ومرجعياتها إلى اعتماد مبدأ المكافئ الذي يبقى دائما وأبدا يتسّم بالذاتية في كنف جميع النظريات.

وتبقى الذاتية التي سبق وأن أشرنا إلى أنها من مميّزات النص الأدبي على وجه الخصوص، الميزة التي لا يمكن بأي حال من الأحوال للكاتب شأنه شأن المترجم التخلّص منها لأنه لا يستطيع أن يتجرّد من ما هو ذاتي وخاص به دون سواه مثل الأسلوب والخيال واستعمال الزاد اللغوي الخاص وانتقاء الكلمات. وكذلك الحال، نجد مترجم النصوص الأدبية يتحول من قارئ إلى كاتب ليصوغ النص من جديد في اللغة الهدف، ويتقيّد بدوره بذاتيته ولا يستطيع أن ينصهر بالكامل في شخصية كاتب النص الأصل، ولا يستطيع المترجم

مهما توخ الموضوعية إلا أن يترك بعضا من ذاته في الترجمة. (إنعام بيوض، 2003، ص49)

والحال كذلك، نجد الترجمات - مثلما تؤكده الممارسة الترجمية عبر التاريخ - تحمل أثرا للمرجعيات الاجتماعية والنفسية والثقافية وبالأخص الأيديولوجية التي تشبع بها المترجم ويتأثر بها خلال أدائه لعمله، باعتباره فعلا يعكس ذاتيته أي تاريخه وبيئته الاجتماعية والسياسية، أو بمعنى آخر ثقافته وأيديولوجيته ونظرته إلى العالم التي تظهر بمختلف الأشكال اللغوية بجوانبها المعجمية/ الدلالية أم النحوية/التركيبية وتنعكس فيها بوعي أو بغير وعي منه.

الفصل الثاني:

البعد الأيديولوجي في الترجمة

المبحث الأول : الأيديولوجية والترجمة

تمهيد :

اختلفت المفاهيم في ظل الزخم المعرفي الذي يشهده الدرس الترجمي خاصة في العقود الأخيرة باختلاف البحوث والنظريات وتطورها، لكنها خلُصت في مجملها إلى قصور النظريات اللغوية في الترجمة لوحدها وحتمية تجاوزها إلى ما وراء اللغة لتشمل جوانب خارج لسانية تتصل بالجانب الثقافي. فبدلا من التركيز على استبدال مادة لغوية في لغة المصدر بمادة لغوية مكافئة في اللغة الهدف، انصبّ الاهتمام على تأثير السياق الثقافي في الترجمة والبحث في العلاقة بين اللغة والثقافة. وباعتبار الأيديولوجية ظاهرة ثقافية، فهي تندرج ضمن الدراسات الترجمية المرتبطة بالثقافة.

أشار **لونغ** (**Leung**) إلى **التحول الأيديولوجي** (**Ideological Turn**) على غرار التحولات الثقافية والسوسيولوجية التي شهدها الدرس الترجمي (Leung in S. Hornby, 2006, p. 172) بصفته مفهوما انتقل فيه التركيز إلى البعد الأيديولوجي في الترجمة الذي يفرض نفسه كلما تعلق الأمر بالتبادل بين الثقافات، وصارت مظاهر الاختلاف على مستوى النصوص تتجاوز النصوص ذاتها مثيرة نقاشا حول موضوع الهوية (الثقافية) واحترام "الآخر" الذي لم يُنظر إليه إلا من خلال فلسفة ومعتقدات الثقافة المستقبلة ومقاربات التثاقف، خاصة في سياق العولمة والتحولات الكبرى التي شهدها العالم بأسره، لتُضاف

مسألة الأيديولوجية ومفهوم ترجمة الآخر أو الغيرية إلى سجل الترجمة الحافل بالعقبات. وقبل التغلغل في صلب هذا الفصل، حريّ بنا بادئ ذي بدء أن نُعرّف مصطلح الأيديولوجية ونضبط مفهومه.

1. تعريف الأيديولوجية:

يعد مصطلح الأيديولوجية من أكثر المفاهيم شيوعا وتداولا في الوقت الراهن، وقد عرف الكثير من التحليل والتفسير، و وُظّف من جانب المفكرين والفلاسفة والباحثين في مختلف مجالات المعرفة. وبالرغم من انتشاره الواسع، ظل محفوفا بالغموض وعدم الاستقرار في صيغة مفهومية واحدة تحدّد وتضبط إطاره المعرفي.

كان الفيلسوف الفرنسي **ديستوت دي تراسي** (**Destute De Tracy**) (1754-1836) أول من أرسى مصطلح الأيديولوجية (**Idéologie**) وهي علم الأفكار في أعم معنى لهذه الكلمة، وكان يهدف إحلال الكلمة محل " **سيكولوجي**". (ميشيل فادي، 2006، ص 19) وكان قصده من ذلك البحث في أنظمة الأفكار خاصة الاجتماعية والسياسية أو الدينية المشتركة بين الفئات الاجتماعية. ويعنى بذلك «أن يكون المصطلح مقابلا للعلم الذي يدرس الأفكار دراسة علمية بحتة باتباع قوانين علمية مضبوطة، تنطلق من الملاحظة والتجربة لتصل إلى نتيجة محددة وهو ما يقودنا إلى استخلاص دي تراسي لفكرة ضرورة اتباع المنهج العلمي التجريبي في دراسة الفكر وقابلية الأخير للخضوع لمخبر التجارب العلمية، ودعوته للدراسة العلمية –بما يحمله مفهوم الدراسة العلمية– من معاني إعمال العقل والصرامة في إتباع المناهج التجريبية لدراسة الأفكار. فهو يؤسس إذن لمفهوم الأيديولوجية من خلال تقديم أهم مبادئها، وهو وجوب الدراسة العلمية للأفكار، أي إلزامية دراسة الأفكار وفق منهج علمي بيّنُ المعالم. ومن خلال دي تراسي اهتم الأيديولوجيون بدراسة الأفكار في حالة

مثولها الواقعي بعيدا عن الغيبيات وهو ما يفسر صبغتها العلمية والمنهجية، واعتمدت على الحقيقة الكائنة في تفسير الظواهر الاجتماعية فاستبعدت «الميتافيزيقا » وحاولت إقامة العلوم الحضارية على أسس أنثروبولوجية وسيكلوجية ». (زكريا إبراهيم، ذكر في عموري السعيد، 2013).

إن « مفهوم الأيديولوجية من أشيع المفاهيم حاليا واللفظ من أكثر الألفاظ تداولا، ولكن معناه من أكثر المعاني إثارة للجدل، ومن ثمة فهو أقل المفاهيم ثباتا » (ميشيل فادي، المرجع السابق، ص 10) ونجد في الواقع أن هذا المصطلح يحمل العديد من المعاني المتباينة، « فقد اعتبر كارل ماركس أن فكر اليساريين (المعارضين) الذي يؤسس لديمقراطية تلغي التسلط والاستبداد وتبشر بحرية فردية حقيقية، بالاعتماد على فرضيات العقل البديهي، فكرا أيديولوجيا وهميا لأنه لا يعتمد على التاريخ بصفته تطورا واقعيا، ... وبالتالي فقد أخذت الأيديولوجية منحى سلبيا يحمل تبريرات تجريدية تلغي التاريخ الواقعي وتنافي روح العلم الحقيقي الذي ينطلق من الحياة الواقعية، من استعراض نشاط الإنسان وعملية تطوره المادي. كما ركزت الماركسية على اعتبار الأيديولوجية وعيا زائفا وعملية ذهنية يقوم بها المفكر وهو واع ولكنه يجهل القوى الحقيقية التي تحركه، كما أن الأفكار متعلقة في نشأتها بحركة الفرد والمجتمع ويتصل تطورها بالتقسيم الطبقي وبالقوى الاقتصادية وعلاقات الإنتاج. فالطبقة التي تملك وسائل الإنتاج المادي تملك أيضا وسائل الإنتاج الروحي. وبالمقابل، فإن الطبقة التي لا تمتلك وسائل الإنتاج، أي التي لا تمتلك عنصر القوة نجدها تتبنى أيديولوجية

الطبقة المهيمنة، وتعتمدها في الحياة اليومية بطريقة آلية من دون وعي فعلـــي بمـــا تعتقـــده، فتعتمدها في ممارساتها الحياتية بوعي زائف يسيّر مواقفها من المجتمع، كما أن وضعية الإنسان في المجتمع أو انتماءه الطبقي هو المحدد الأهم في نمط أفكاره وتصوره للتاريخ. على أن نشاط الإنسان ليس فرديا بل جماعيا، وبه تتحدد الفئات الاجتماعية من خلال الدور الذي تقوم به في الحركة الاقتصادية، والبنية الأيديولوجية هي البنية التي يعي فيها الناس علاقاتهم وصراعاتهم ونشاطاتهم، في مقابل البنية السياسية والحقوقية القانونية التي تحتضن تلك العلاقات» (زكرياء إبراهيم، ذكر في المرجع السابق، ص 4)

وقد شملت أعمال فان دايك (Van Dijk) دراسات نوعية ساهمت بشكل فعّال في التأسيس لعلاقة الأيديولوجية باللغة، وعرّف الأيديولوجية (2001) قائلا:

The theory of ideology … defines ideologies as a special form of social cognition shared by social groups. (p. 12)

بمعنى «أن الأيديولوجيات من منظور نظرية الأيديولوجية هي شكل خـــاص مـــن الإدراك الاجتماعي المشترك بين أفراد فئة اجتماعية. » (ترجمتنا). ويضيف:

> Ideologies are general and abstract. They are about general principles of the group, basic convictions, axiomatic beliefs. For various domains in society, however, groups have more specific belief systems, for which I use the traditional social psychological notion of attitude, … Thus, attitudes are also forms of social representations; they are socially shared opinions. (p. 16).

بمعنى «أن الأيديولوجيات هي مفاهيم عامة ومجردة تتصل بالمبادئ الكلية للجماعة وقناعاتها الأساسية ومعتقداتها. حيث تمتلك المجموعات ضمن مختلف مجالات المجتمع أنظمة من المعتقدات الخاصة أسند لها معنى السلوك حسب المفهوم الاجتماعي التقليدي... وأن السلوكات هي كذلك أشكال الإدراك الجماعي تشترك فيه وتتقاسمه الفئات الاجتماعية فيما بينها» (ترجمتنا).

أمّا قاموس **أكسفورد** (**Oxford**) في اللغة الإنجليزية (2005) فيعرّف كلمة أيديولوجية أنها «مجموعة المعتقدات التي تُميّز الجماعات أو الأفراد» (ص 861)، أو أنها حسب قاموس وبستر (**Webster**) للغة الإنجليزية (1992) « طريقة أو مجموع خصائص التفكير عند جماعة معيّنة» (ص 190). ونجدها في قاموس **يونيفرسل** (**Universel**) للغة الفرنسية (1997) بمعنى « مجموعة الأفكار الفلسفية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والدينية الخاصة بحقبة زمنية أو بمجموعة اجتماعية معيّنة» (ص 590).

عرف مصطلح الأيديولوجية الكثير من التحولات «خاصة بعد المعارضة التي أبداها نابليون بونابرت للمفهوم لمّا اصطدمت مصالحه وأفكاره التوسعية بجماعة الأيديولوجيين التي يقودها دي تراسي ورفاقه، والداعية إلى القيام بإصلاحات جذرية في المؤسسة الاجتماعية [...] وكان لهذا التحوّل أثر كبير في صيرورة المصطلح، فاقترنت الأيديولوجية بالنفعية. وقد نعتها الفيلسوف كارل يسبرس (Karl jaspers) بالنفعية هدفها الجوهري خدمة الغاية المراد

بلوغها، عبر وسائط تُخفي الحقيقة الموضوعية عن الذات المعتقدة بها». (عموري السعيد، المرجع السابق، ص 3)

وعادة ما تُستخدم كلمة أيديولوجية بدلا من مصطلح "النظرة إلى العالم"، بمعنى طريقة الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات في رؤية هذا العالم، إذ يعتبر مايسن (**Mason**) الأيديولوجية «مجموع المعتقدات والقيم التي تعكس نظرة الفرد أو المؤسسات إلى العالم وتساهم في تأويلهم أو تفسيرهم للأحداث والوقائع». (Mason in De Beaugrande, 1994: 23)

ويعرّفها **باسل حاتم** (**Hatim Basil**) (2001):

> A body of ideas which reflects the beliefs and interests of an individual, a group of individuals, a societal institution, etc., and which ultimately finds expression in language. (p. 218)

أي أنها « مجموعة الأفكار التي تعكس معتقدات ومصالح فرد أو مجموعة من الأفراد أو مؤسسات اجتماعية [...] يجدون في اللغة الصيغ اللغوية التي يعبّرون بها» (ترجمتنا). ولعلّ أكثر ما يجلب الانتباه في تعريف حاتم هي علاقة الأيديولوجية باللغة حين اعتبر هذه الأخيرة وسيلة للتعبير عن الأولى. كما ينضم إلى رأي **سيمبسون** (**Simpson**) فيقول في تعريف الأيديولوجية:

> With Simpson, we shall define ideology as the tacit assumptions, beliefs and value systems which are shared collectively by social groups. (Simpson in Hatim & Mason, 1997, p. 120)

بمعنى « أن الأيديولوجية هي الأفكار الضمنية والمعتقدات والقيم المشتركة بين أفراد الفئات الاجتماعية» (ترجمتنا).

كما عرّف جيريمي موندي الأيديولوجية تعريفا سيميائيا أوسع بعيدا عن المفهوم الماركسي للمصطلح الذي يحمل معنى الصراع بين أفكار الأنظمة السياسية أو الاقتصادية، يرى من خلاله أنها « نظام من المعتقدات تتحدّد من خلالها نظرة الفرد إلى العالم و يُمكن تجسيدها لغويا».(Munday, 2008, p. 8)

لم يستقر مصطلح الأيديولوجية على مفهوم ثابت لأنه يشهد عمليات تطور في ضوء الأوضاع الاجتماعية المختلفة والتغيرات الاقتصادية والمواقف السياسية على المستوى المحلي أو العالمي. ويظهر أن التعاريف التي تمّ سردها قد تناولت جانبا أو أكثر من جوانب هذا المفهوم، وأن جل التصورات الفكرية والفلسفية التي قاربت بها المجال المفهومي للأيديولوجية تتفق على أن ثمة تلاحما بين الواقع والأيديولوجية ... ويمكن أن نصوغ الأيديولوجية على أنها نتاج فكري معرفي شامل، ينطلق من الفرد الذي يمثل اللبنة الأساس في تشكيل الفكر الاجتماعي، وتتأسس على خلفيات بلورتها جدلية التاريخ والواقع. (عموري السعيد، المرجع السابق، ص 6)

وضمن هذه الدراسة، يتحدّد مفهوم الأيديولوجية على أنه مجموعة الأفكار والمعتقدات والقيم التي تشكل نظرة إلى العالم يتبناها بوعي أو بغير وعي أفراد أو مؤسسات لها دور في إنتاج الترجمة وتتحكم في مسارها وفقا لما سطّرته من أهداف.

2- اللغة، الخطاب والأيديولوجية

يرى حاتم باسل وإيان مايسن (**Basil & Mason**) (1997) أن «كل استخدام للغة يعد انعكاسا لمجموع أفكار ومعتقدات المستخدمين المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمواقف والمعتقدات والقيم، كما يعد الخطاب نمط الكلام الشفوي أو الكتابي المُنظم المُعبّر عن مواقف معينة في مجالات النشاط الاجتماعي والثقافي» (ترجمتنا)

> all use of language reflects a set of users' assumptions which are closely bound up with attitudes, beliefs and value systems… discourse as institutionalized modes of speaking and writing which give expression to particular attitudes towards areas of socio-cultural activity. (p. 120)

فهذه إشارة إلى تشبّع اللغة بالأيديولوجية، وأن للغة دور فعّال في التعبير عن المحتوى الأيديولوجي الذي يستطيع من خلال اللغة والخطاب أن يجد التعابير التي تعكسه. فالعلاقة بين اللغة والأيديولوجية مفصل الموضوع لأن اللغة ضمن الدراسات النقدية اللغوية وسيلة تنعكس من خلالها الأيديولوجية.(Simpson in Munday & al, 2007, p. 198) ، وما دامت اللغة طرفا ذا صلة وطيدة بهذه العلاقة، يجدر بنا الفصل في مسألة النص والخطاب، وتحديد مفهوم النص ثم الخطاب.

يطرح « الفرق بين **النص** (**Texte**) و**الخطاب** (**Discourse**) إشكالية، فهناك من الباحثين من يرادف بين النص والخطاب، بيد أن هناك من يفرّق بينهما بشكل دقيق.

فالخطاب مرتبط بالتلفظ والسياق التواصلي. في حين، يتميّز النص بكونه مجردا من هذا السياق كليا. وقد ميّز **ميشيل آدم** (**M. ADAM**) بينهما بهذا الشكل الرياضي:

الخطاب= النص + ظروف الإنتاج.

النص= الخطاب – ظروف الإنتاج.

وبعبارة أخرى، إن الخطاب يُدمج السياق أي الظروف غير اللسانية المنتجة له. في حين، النص يُبعدها (الظروف) أي السياق بوصفه ترتيبا لقطع تعود إلى البعد اللساني». (جميل حمداوي، 2015، ص 8)

ونخلص ممّا سبق إلى أن ثمة فرق بين مصطلحي النص والخطاب، فعادة ما يُستعمل مصطلح «النص» كلما كان الأساس اللغوي هو الغاية، حيث تتجه الدراسة نحو النص حينما تختّص بمادية اللغة وشكلها وبنيتها. أما مصطلح «**الخطاب**»، فيُستعمل كلما كان الأساس الاجتماعي هو الغاية، حيث تتجه الدراسة نحو الخطاب إذا كان الموضوع يخص محتوى اللغة ووظيفتها ودلالتها الاجتماعية. كما للنص والخطاب علاقة تتمثل في الجانب التواصلي للخطاب انطلاقا من تمظهره الكتابي بصفة عامة: « إنّ العلاقة بين النص والخطاب هي أساسا علاقة انبثاق وتجسيد، بحيث أنّ الخطاب يجسّد تعبيره في النص لأنه ذو بعد متعلق بالمحتوى والموضوع ويعتبر امتدادا للبعد الاجتماعي بينما يمثل النص البعد اللغوي، وبما هو كذلك فإن النص يعتبر تحيينا للخطابات وتحقيقا لغويا لها.» (عموري السعيد، المرجع السابق، ص 10)

بناء على ما سبق، يتضح أن الخطاب هو تجسيد لغوي لكل ما يتصل بالجانب الاجتماعي، إذ «يشكّل الخطاب البعد الاجتماعي الذي يتألف بدوره من ثلاثة أبعاد اجتماعية وهي: المعرفة، العلاقات الاجتماعية، والهوية الاجتماعية». (Fairclough, 1989, p. 8)

كما تناول باسل حاتم (2001) مصطلح الخطاب انطلاقا من تعريف **غونتر كريس** (**Gunther Kress**) برزت من خلاله أهمية المؤسسة الاجتماعية في قوله :

> a mode of talking' ... In essence it points to the fact that social institutions produce specific ways or modes of talking about certain areas of social life ... That is, in relation to certain areas of social life that are of particular significance to a social institution, it will produce a set of statements about that area that will define, describe; delimit, and circumscribe what it is possible and impossible to say with respect to it, and how it is to be talked about. (p. 178)

ومفاده أن (الخطاب) «هو نمط الحديث ... يتضمن في جوهره إشارة إلى حقيقة الدور الذي تلعبه المؤسسة الاجتماعية في إنتاج طرق أو أنماط تعبيرية محدّدة في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية... وفي ارتباطه (الخطاب) بمختلف مجالات الحياة الاجتماعية، نجد له معنى خاصا لدى المؤسسة الاجتماعية التي تنتج مجموعة من التعابير الموجهة لكل مجال وتضع له تعريفا و وصفا ونطاقا وتحدّد ما يمكن أو لا يمكن قوله، وكذا طريقة الحديث فيه». (ترجمتنا)

ويرى فان دايك أن الخطاب يُعد نتاجا لممارسات أفراد المجتمع وانعكاسا لأفكاره، إذ يقول:

> Ideologies thus form the basis of the social representations and practices of group members, including their discourse, which at the same time serves as the means of ideological production.

ومعناه « أن الأيديولوجيات هي أساس الصور وممارسات أفراد الفئة الاجتماعية بما في ذلك الخطاب، وهو في الوقت نفسه وسيلة من وسائل الإنتاج الأيديولوجي.» (ترجمتنا)

أما ميشيل فوكو (**Michel Foucault**) فيفترض « أن إنتاج الخطاب في مجتمع ما هو في الوقت نفسه إنتاج مراقب أو منتقى ومنظم ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات يكمن دورها في الحد من سلطانه ومخاطره والتحكم في حدوثه وإخفاء ماديته». (ذكر في عموري السعيد، المرجع السابق، ص 11)

تبدو اللغة بأدواتها التعبيرية وسيلة إيصال محايدة، لكن «أنماط الخطاب سواء كانت محكية أو مكتوبة تتحول في واقع الاستعمال إلى أدوات تعبير عن المواقف والظروف الاجتماعية التي تستعمل فيها، ممّا يجعل علاقة الخطاب بالمواقف علاقة دقيقة ووظيفية. وتتعامل اللسانيات الاجتماعية مع مختلف أنماط الاستعمال اللغوي على أنها حتمية، وهي جزء من تركيبة اجتماعية معيّنة ونتيجة لها في الوقت نفسه. (فاولر وكريس، ذكر في الزليطني، 2014، ص 11) والحال « أن للخطاب دور فعّال في خدمة الأيديولوجية وفي التعبير عنها وتداولها في المجتمع، وهي من بين المفاهيم التي تؤثر في إنتاج التراكيب اللغوية، وأن أغلب الخطاب الذي نتلفظ به هو تعبير عن آرائنا ومواقفنا المنبثقة من قناعاتنا الأيديولوجية، وأن كل بناء من المعاني الكلامية وغير الكلامية يدخل ضمن دراسة الخطاب الذي يقع في امتداد

أوسع من الممارسات الأيديولوجية. وأنّ اللغة من خلال خصائصها تجسّـــد الأيديولوجيـــة بواسطة علاماتها وأساليبها، [...] إنّها تحيين وتحقيق بمقدوره إخفاء أو إظهار أنساق فكرية عن طريق التحكم في آليات وخصائص اللغة. أما فوكو (**Foucault**) فيرى أن الخطاب فعل غير بريء يحمل دورا واعيا يحقق الهيمنة التي يمارسها المشتغلون في حقل معرفي أو مهني على أهلية المتحدث وصحة خطابه وشرعيته. وأن دراسة الخطاب وتحديد هويته بطريقة علميـــة تتطلب من الباحث الانطلاق من داخل الخطاب ذاتـــه أو في ســـياقه الثقـــافي والسياســـي [..] على أساس فكرة الهيمنة التي تمارسها الخطابات على حقول المعرفة وعلاقات التـــأثير والتأثر بينـــها وبـــين التحيينـــات الماديـــة لهـــا. كمـــا أحـــدثت مقاربـــة الفيلســـوف الفرنسي **ألتوسير** (**Althusser**) حول حقيقة العلاقة بين الأيديولوجية والخطاب ثورة فكرية قوامها أن الأيديولوجية مفهوم شامل لكل مظاهر الحياة والفكر بحيث لا تكاد أن تنفصل أي ظاهرة مهما كان نوعها عن الأيديولوجية». (عموري السعيد، المرجع السابق، ص 11)

تبيّن ممّا سبق أن للأيديولوجية دور محوري في عملية التعبير اللغوي وهي بالتبعية ذات صلة بالنشاط الترجمي، يتأثر بها تماما مثلما تتأثر به اللغة والتأليف اعتبارا للدور الذي تؤديه في تحديد خيارات المترجمين وغيرهم من الناشطين في هذا الميدان مثل الناشرين الذين يساهمون فيه حسب الدور الذي يحتلونه في هذه العملية برمتها.

3 – الأيديولوجية والترجمة :

إن «المتتبع لتاريخ الترجمة والعارف بخباياها يجد أن أثر الأيديولوجية في الترجمة قديم قدم الترجمة ذاتها، إذ لم تخل أعرق الترجمات وأشهرها من مقاربة أيديولوجية، وكان للأفراد والمؤسسات عبر العصور أفكار وآراء يوظفونها لتخلّف أثرا لها في الترجمات». (Fawcett, in M. Baker, 1998, p. 106). ويبرز من خلال العلاقة بين الترجمة والأيديولوجية تحكم الغرض السياسي والاقتصادي في الترجمة وانزوائه وراء الأهداف القومية والهيمنة المحددة لمسار الترجمة. وبتطور النظرية الترجمية، تغيرت النظرة التقليدية للترجمة وانتقل الجدل من المسائل التقنية المتعلقة بكيفية الترجمة إلى مسائل جديدة أكثر تعقيدا توجهت أساسا إلى الحديث عن دور الأعمال المترجمة في الثقافات المستقبلة ووظيفتها فضلا عن البعد الأيديولوجي والتبادل بين الثقافات.

وفي سياق العلاقة بين الترجمة والأيديولوجية، تضمنت أعمال **أندري لوفافر** (**André Lefèvre**)، أحد رواد المقاربة الثقافية في الدراسات الترجمية وأكبر المهتمين بالبعد الأيديولوجي، تأكيدا على «أن الأيديولوجية هي العنصر المحدّد لمسار الترجمة ولطبيعة العلاقات بين مختلف الثقافات عبر العصور والهدف من الترجمة وكذا الكيفية التي تؤثر بها الترجمة في شعوب الثقافة المستقبلة [...] حيث يُحبذ المتلقي الأجنبي دائما رؤية أيديولوجيته منعكسة من خلالها، ويحاول القارئ في اللغة المستقبلة خلق عالم يتناسب مع تصوره الخاص، مترجما كل شيء يراه مُجسدا لأيديولوجيته وثقافته. وأشار أندري لوفافر

إلى أن مختلف الثقافات قد لجأت في مراحل مختلفة من حياة البشرية إلى إجراء تعديلات في النصوص المترجمة سواء كان ذلك بالحذف والإضافة أو التكييف مع ما يتماشى وأغراضهم واحتياجاتهم. وهذا ما يوضح ميول القارئ في اللغة الهدف والمنتمي إمّا لثقافة «عليا» أو ثقافة «دنيا» إلى فرض إرادته في ترجمة النصوص، وبهذا الشكل فهو يتحكم في الدرس الترجمي ويسيّره. وأضاف لوفافر ملاحظات حول كيفية استقبال الثقافة الهدف للأعمال المترجمة، مُبيّنا أن واقع الترجمة يؤكد بأن كل الثقافات تعمل على إزالة الاختلاف بالتصرّف في الترجمة بحذف أو إضافة كل ما من شأنه أن يجعل النص المترجم يتطابق مع معايير الوضوح والفهم. كما أكّد المُنظر نفسه في سياق حديثه عن أثر الممارسة الترجمية في حوار الثقافات عبر التاريخ، أن الثقافات تحاول دائما أن تتعامل بمنطق القوة مع أدب الثقافات الأخرى. ففي الوقت الذي تفرض فيه كل ثقافة أجنبية قيودا على عملية النقل بين الثقافات، تسعى الثقافة المهيمنة على إعمال إكراهاتها على كل ما يُراد ترجمته عن ثقافة أخرى تعتبرها أقل منها مترلة».(Lefèvre, in Tawfiq Yousef & al, 2002, pp. 12-13).

لعل أهم ما يبرز من أعمال لوفافر الأثر الذي تلعبه المعايير الخاصة بالثقافة المستقبلة في الترجمة عن ثقافات أخرى، خاصة إذا كانت هذه الثقافة تعتبر نفسها أعلى مرتبة وأكبر شأنا. كما جاءت آراؤه للتأكيد على «أن الموقف الذي تتخذه ثقافة تعتبر نفسها مقياسا أو معيارا للمقارنة بثقافة أخرى يؤدي إلى ما يسمى **بالنزعة القومية العرقية** (**Ethnocentrisme**) ... فلكل ثقافة نزعتها، لكن تنزع الثقافة التي لها الغلبة إلى التباهي

وعرض نفسها، وأن أصحاب الترعة العرقية يسمحون لثقافتهم استخدام مناهج تهدف إلى إعادة بناء العالم وفقا لتصورهم دون النظر إلى الاختلاف بين مكونات هذا العالم».

(Lefèvre, in Tawfiq Yousef & al, Loc.cit)

وفيما يتعلق بتفاعل الشعرية والأيديولوجية والترجمة، يرى لوفافر بأن أيديولوجية المترجم أو تلك التي فُرضت عليه تُعد أهم العناصر. أما معيار الشعرية، فتكون مرجعيته شعرية اللغة المستقبلة وثقافتها، فكلتاهما (الأيديولوجية والشعرية) تحدّدان استراتيجية الترجمة وتقدّمان حلولا للإكراهات الخاصة بالعملية. يقول لوفافر :

> On every level of the translation process, it can be shown that, if linguistic considerations enter into conflict with considerations of an ideological and/or poetological nature, the latter tend to win out. (Lefèvre, in Munday, 2001, p. 130)

ومفاد قوله «أن كل صراع يمكن أن ينشأ في مستويات العملية الترجمية المختلفة بين اعتبارات لغوية و أخرى ذات طابع أيديولوجي أو شعري، تميل فيه كفة الغلبة إلى هذه الأخيرة» (ترجمتنا)

و في شأن الوعي بعنصر الأيديولوجية، يقول فان دايك (1998) :

> few of us (in the West or elsewhere) describe our own belief systems or convictions as "ideologies". On the contrary, Ours is the Truth, Theirs is the Idelology. (p. 2)

ومفاد قوله «أن قلّة من أفراد المجتمعات الغربية أو في غيرها من يصف نسق المعتقدات أو القناعات على أنها "أيديولوجيات"، إذ تُمثل معتقدات أو قناعات الغرب

الحقيقة، وتعتبر بالمقابل معتقدات وقناعات الآخرين أيديولوجيات». (ترجمتنا) ونتيجة لهذا الطرح، يتم إنتاج أعمال ترجمية على مقاس الثقافة المستقبلة تتنكر لكل ما يخالفها أو لا يتطابق معها. أما لوفافر فيعتبر «أن الترجمة لا تأتي من فراغ [...] وأن الطريقة التي يدرك بها المترجمون ثقافتهم وحتى إدراكهم لأنفسهم قد يكون لها تأثير في ترجمتهم، كما يعتبر أيديولوجية المترجم وشعرية اللغة المستقبلة (المهيمنة) العنصرين الذين يتحكمان في مسار النص المترجم». (Lefevre, in Munday & al, 2007, 197)

جاءت أعمال لوفافر (**Lefêvre**) لتُثبت تلازم عنصر الثقافة بالترجمة، وهي تُعد من أكثر الأعمال دلالة على تغلغل البعد الأيديولوجي في الترجمة وتأثيره وتحكمه فيها، ليتحول مركز الاهتمام خاصة في الترجمة الأدبية على مدى تحكم اللغة الهدف في مسارها، وعلى المعايير والإكراهات التي تتحكم في إنتاج وتلقي الأعمال المترجمة، لأن كل ترجمة تقتضي من وجهة نظر الأدب الهدف، اللجوء إلى عمليات التصرف (**Manipulation**) في النص المصدر، من أجل تحقيق الغاية المرجوة من الترجمة حتى لو اقتضى الأمر إخضاع النص الهدف للتشويه. والتصرف حسب فان دايك «عملية خفية لها تأثيرها على عقول المتلقين من خلال نشر بعض المعتقدات والقيم والسلوكات أو الأيديولوجيات عبر العالم، سواء كان ذلك بإدراك المتلقين وفهمهم للأغراض المرجوة منها أو عدمه». (Van Dijk : op.cit, p. 260) كما سلّط فان دايك الضوء على البعد الإدراكي في **التصرف** لأن «هذا الإجراء عادة ما يقتضي نوعا من السيطرة على العقول أي معتقدات المتلقين مثل المعارف والآراء والأفكار

التي تفضي بدورها إلى التحكم في أعمالهم، والتأثير بشكل مباشر على سلوكات وأيديولوجيات أفراد المجتمع». (Van Dijk : Loc.cit)

أصبح المعطى الأيديولوجي بعد ولوجه عالم اللغة من اهتمامات الدارسين واحتل منذ قرابة ثلاثة عقود مكانة بارزة في مجال البحوث اللغوية، اندرج العديد منها ضمن الدراسات التي تهتّم بعلاقة اللغة بالأيديولوجية.

بعد تحديد العلاقة بين الشكل اللغوي والأيديولوجية في الترجمة، سيتضمن المبحث الموالي شرحا للمقاربة التي تسمح بالكشف عن المظاهر اللغوية للأيديولوجية من خلال منهج **التحليل النقدي للخطاب** (**Critical Disourse Analysis**) أو (**CDA**) اختصارا، ويقابلها باللغة الفرنسية (**Analyse Critique du Discours**). فما هو التحليل النقدي للخطاب؟

المبحث الثاني: الترجمة والتحليل النقدي للخطاب

تمهيد :

يُقصد بتحليل الخطاب « القيام بوصف مباشر للوحدات اللغوية موضوع الدراسة بحثا عن المعنى محور عملية الفهم والتخاطب. وهذا الوصف يكون بالاعتماد على آليات ومناهج اختلفت باختلاف المدارس اللسانية من البنيوية والتوليدية والتداولية البراغماتية والنصانية والمعرفية، وباختلاف أنماط الخطاب من الجملة إلى الفقرة إلى النص، ومن الشفوي إلى المكتوب من محادثات ومحاورات إلى خطابات مكتوبة أدبية وسياسية ودينية وغيرها... إن علم تحليل الخطاب علم جامع بين مجالات معرفية شتى تتناول المادة اللغوية عندما تتشكل في خطاب» (جمعة صبيحة، 2019، ص 18).

أما بالنسبة ل فيركلاف (**Fairclough**) (1989) الذي يعتبر اللغة ممارسة تحدث في سياق اجتماعي، فيرى :

> In seeing language as discourse and as social practice, one is committing oneself not just to analyzing texts, nor just to analyzing processes of production and interpretation, but to analyzing the relationship between texts, processes and their social conditions of the situational context and the more remote conditions of institutional and social structures. (p. 26)

ومفاد قوله « أن النظر للغة بوصفها خطاباً وممارسة اجتماعية، يجعلنا نلتزم ليس **بتحليل النص وعمليات الإنتاج والتأويل** فحسب، ولكن **بتحليل العلاقات بين النص**

والإجراءات وظروفها الاجتماعية المتعلقة بالسياق وخاصة بظروف البُنى الاجتماعية والمؤسساتية» (ترجمتنا). ولا يقف الأمر ضمن تحليل الخطاب عند حد البنية السطحية للنصوص، إنما يتجاوزها إلى القراءة التأويلية للنص نحو البحث في المعاني التي يحيل إليها النص بما في ذلك المعاني المضمرة.

اختلفت نظريات لسانيات النص وتحليل الخطاب وتعدّدت مناحيه من التحليل الأدبي للخطاب وصولا إلى التحليل النقدي للخطاب باعتباره أحدث المقاربات في هذا المجال، حيث سيُشكّل هذا الأخير محور مبحثنا، وضمنه سندرج تعريفا لمنهج التحليل النقدي للخطاب، نشأته ومفهومه، ويليه وصف لعلاقته بالأيديولوجية ثم بالترجمة، وأخيرا دور التحليل النقدي للخطاب في الكشف عن أثر الأيديولوجية في اختيارات المفردات.

1- ما هو التحليل النقدي للخطاب ؟

التحليل النقدي للخطاب (**CDA**) مقاربة متعددة الفروع تهتم بدراسة الخطاب وتنظر إلى اللغة على أنها شكل من أشكال الممارسة الاجتماعية، وهو مرتبط بحقل اللسانيات النقدية التي نشأت لدراسة اللغة في إطار نقدي بغرض دراسة السلوك اللغوي في حالات الاستعمال الطبيعي للكلام المتصل بالجانب الاجتماعي (Fairclough, 1995, p. 20)، وأصبح أداة متعددة التخصصات تُتيح البحث في اللغة وقضايا القوة والهيمنة والطبقية والجنس والعرق والتمييز والنظام الاجتماعي والتركيب والأيديولوجية. (Van Dijk, 1998, p. 354).

ويُمكن للقارئ أن يلاحظ أن منهج التحليل النقدي للخطاب يتكون من ثلاث عناصر هي: **التحليل** و**النقد** و**الخطاب**:

1- **التحليل** : وعكسه التركيب، وهو إرجاع الكل إلى أجزائه، والذي يُمكن أن يكون تحليلا حقيقيا واقعيا أو تحليلا ذهنيا خياليا. بمعنى عزل أجزاء الشيء أو صفاته أو خصائصه بعضها عن بعض في الذهن، وهو عبارة عن استعلام يتم إجراؤه بناء على فرضيات يوفر إجابات للأسئلة المثارة. (المعجم الفلسفي، 1982، ص 245).

2- **النقد:** وهو حسب **إزرا باوند** (**Ezra pound**) المنهج الذي يتم بواسطته البحث أو تسليط الضوء على مسألة يمكن أن تمر دون أن تجلب انتباهنا. (E. pound in Venuti, 2000, p. 26) . ويتكفل النقد العلمي بعيدا عن الوصف أو التطبيق السطحي بطرح أسئلة إضافية في كل المجالات، أما مسألة "النقد" المتأصل في مفهوم التحليل النقدي للخطاب فيعني

أساسا الوقوف على بعد مسافة واحدة من المعلومات أو البيانات، وتضمينها في السياق الاجتماعي. (Wodak & Meyer, 2001, p. 9)

3- **الخطاب**: الخطاب عنصر محوري في التحليل النقدي للخطاب، حيث سبق التمييز بينه وبين النص على أساس أن دراسة النص لغة تستلزم دراسة كل الوحدات من حيث التركيب والبناء التي تتكفل بنقل الخطاب، بينما الخطاب هو عملية التفاعل اللغوي بين المتحدث ومستقبل النص في سياق اجتماعي، أي « أن الخطاب هو الاستعمال اللغوي في سياقات الاستخدام الفعلي، بمعنى أنه يعمل على المستوى النحوي والدلالي للكشف عن معاني استعمال الأشكال اللغوية في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية.» (Machin & Mayr, 2012, p. 20)

وغالبا ما يستخدم مصطلح **اللسانيات النقدية** (**Critical Linguistics**) ومصطلح **التحليل النقدي للخطاب** (**Critical Discourse Analysis**) للدلالة على المفهوم نفسه. لكن يبدو أن مصطلح التحليل النقدي للخطاب قد أخذ الأفضلية في الآونة الأخيرة للدلالة على نظرية عُرفت سابقا باسم اللسانيات النقدية. وتعتبر اللغة من منظور التحليل النقدي للخطاب ممارسة اجتماعية يأخذ فيها سياق استخدام اللغة مكانة مفصلية. (Wodak & Meyer, op.cit, p. 9) ومن هنا كان الانتقال من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب أي من تحليل الآليات التي يُسخرها المتخاطبون لتحقيق التواصل **إلى تحليل العوامل**

التي تحكم اختيار تلك الآليات والكيفية التي تستعمل بها لخدمة توجهات معينة، وتكريس قيم ومقاصد تنبني على أيديولوجيات معيّنة. (الزليطني، 2014، ص 9-10)

ومنه، يمكن القول أن اللسانيات النقدية والتحليل النقدي للخطاب يهتمان أساسا بتحليل العلاقات الهيكلية الظاهرة والخفية المتعلقة بالهيمنة والتمييز والسلطة والسيطرة التي تتجلى عبر اللغة. وعلى عكس نماذج تحليل الخطاب ولسانيات النص، لا تُركّز اللسانيات النقدية والتحليل النقدي للخطاب على النصوص المنطوقة أو المكتوبة كمادة للبحث فقط، بل تستوجب **عملية نقد للخطاب** بكل ما تحمله الكلمة من معنى، مع بعض التنظير والوصف لكل من العمليات والمؤسسات الاجتماعية التي تساهم في إنتاج النص [...] التي تنشئ المعاني في تفاعلها مع النصوص. ويأخذ البعد الأيديولوجي في التحليل النقدي للخطاب مكانة محورية في إقامة علاقات القوة غير المتكافئة والحفاظ عليها. وتهتم اللسانيات النقدية اهتماما خاصا بالطرق التي تتكلف بها اللغة نقل الأيديولوجية. (op cit, p. 10 Wodak & Meyer).

1.1- نشأته :

ظهر التحليل النقدي للخطاب أوائل تسعينات القرن الماضي ضمن حلقة جمعت بعض الدارسين في أشغال ندوة مصغرة انعقدت برعاية من جامعة أمستردام في جانفي 1991، وكانت فرصة لعديد المنظرين على غرار Teun van Dijk, Norman Fairclough, Gunther Kress, Theo van Leeuwen and Ruth Wodak لمناقشة نظريات وأساليب تحليل الخطاب وبالأخص التحليل النقدي للخطاب. وقد أتاح الاجتماع لكل طرف أن يطرح مقاربته ثم مقابلتها بالمقاربة الأخرى، ولا يزال الاختلاف بين المقاربات قائما إلى اليوم. وقد ظهر هذا المفهوم بشكل فعلي بصدور مقال فان دايك تحت عنوان "الخطاب والمجتمع" (1990) وقبله كتاب "اللغة والقوة" من تأليف نورمان فيركلاف (1989)، وكذا كتاب "القوة والأيديولوجية" لمؤلفته روث فوداك (1989). (Wodak & Meyer, ibid, p. 5)

نشأت مقاربة تحليل الخطاب انطلاقا من نموذج ميكائيل هاليداي (**M. Halliday**) الذي يتأسس على ما يسمّيه بنظام النحو الوظيفي المكرّس لدراسة اللغة بصفتها عملية تواصلية مع النظر في المعاني التي أراد صاحب النص التعبير عنها عبر خياراته اللغوية والربط بينها وبين الإطار السوسيو- ثقافي. ويستخدم أساسا لتحليل الوظائف العملية للعناصر اللغوية في كل من النص الأصل والنص الهدف، حيث يرى هاليداي أن ثمة علاقة وطيدة بين المستوى السطحي للوظيفة اللغوية والإطار السوسيو- ثقافي. وبالتالي، يرتبط نوع النص بوظيفة تواصلية خاصة تتحدّد وفقا للبيئة السوسيو- ثقافية. ويُميّز **هاليداي** فيه بين ثلاثة

عناصر هي: **المجال** (الموضوع)، **الشخص** (القائم بعملية التواصل والمتلقي)، **النمط** (شكل التواصل- كتابي على سبيل المثال). وتشكّل تلك العناصر عند ربطها بدلالات الخطاب في النص، ثلاثة أنواع من المعاني المنجزة بواسطة مجموعة الاختيارات التي توفرها اللغة على المستوى المعجمي/ النحوي والتي تعد حاسمة في تحديد المعنى:

1- **المعنى الفكري** (**Ideational**) ويرتبط بمجال النص ويتحقق عبر اختيار الأفعال والصيغ.

2- **المعنى التواصلي** (**بين الأفراد** (**Interpersonnal**) ويرتبط بالشخص ويتحقق عبر استخدام اللغة من أجل إقامة علاقة بين منتج النص والمتلقي.

3- **المعنى النصّي** (**Textual**) ويرتبط بنوع النص من خلال المواضيع والتراكيب الإخبارية المستعملة ويتحقق عبر ترتيب وتركيب عناصر الجمل والتنسيق بينها. (Munday, 2001, p. 91)

كان محور تركيز هذا النظام موجها إلى الصيغ التي تسمح بالتعبير عن الظواهر الاجتماعية بواسطة الاختيارات اللغوية غير أنه لم يول الخطاب وسياقه والأهداف الأيديولوجية الأهمية التي وجدها في التحليل النقدي للخطاب.

1.2- مفهومه :

التحليل النقدي للخطاب «أحدثُ مقاربات تحليل الخطاب ذي التوجه اللساني، وتُعنى بدارسة العلاقات الجدلية بين اللغة والخطاب والمجتمع، والسلطة التي تكرسها تلك العلاقات على صعيد الممارسة الاجتماعية وما تحدثه من تغيرات اجتماعية ... ولا تدرس مقاربة التحليل النقدي للخطاب اللغة الطبيعية من وجهة نظر وصفية تقليدية تحاول فهم منطق اشتغال اللغة، أو وصف الأشكال. وإنما تستند إلى الأطر النظرية والمناهج اللسانية في دراسة وظائف التحكم والهيمنة على الممارسات التواصلية المنطوقة والمكتوبة، وتتوق إلى فضح الجدوى الاجتماعية للاستعمالات اللغوية المنتقاة على صعيد الخطاب، ... فالنص والخطاب والممارسة الاجتماعية والسلطة أربعة مفاهيم مركزية في التحليل النقدي للخطاب. والغاية من النقد اللساني الخطابي هي فضح السلطة التي تمارسها الاختيارات اللسانية المعدة والمنسقة حسب مقاسات المراجع الأيديولوجية لصناع الخطابات». (محمد يطاوي، 2019، ص 11)

تأسّس التحليل النقدي للخطاب بصفته فرعا جديدا يضاف إلى حقل الدراسات اللغوية ليضع في المتناول أداة تسمح بالكشف عن الأيديولوجيات الخفية وراء النص وإبراز مظاهرها. وبالنظر للإشكالية التي يطرحها الخطاب من حيث التراكيب والمعاني، فإن عملية فهم النص لا تأتي من تحليل المفردات والخصائص النحوية أو شروط تماسكها فقط، بل بالنظر أيضا في كل من السياق وعلاقة النصوص بعضها ببعض. حيث يُوفر التحليل النقدي

للخطاب إمكانية البحث في السياق الاجتماعي والتفكير النقدي في إنجاز الدراسات النقدية. فالهدف الرئيسي من التحليل النقدي للخطاب هو **اكتشاف الجزء الخفي من الخطاب وتسليط الضوء عليه**. وتجد اللغة من منظور التحليل النقدي للخطاب مكانها في العلاقة التفاعلية مع الواقع الاجتماعي، أي أن الفعل التواصلي يتأثر بالواقع الاجتماعي ويستخدم لاستمرارية أو لتغيير الواقع الاجتماعي. **حيث يترع صاحب النص في بعض الحالات إلى إخفاء حقيقة مُعيّنة ويرغب تارة في تفخيمها، ويريد تارة أخرى إظهار عكسها**. إن استغلال العناصر اللغوية النصية ضمن التحليل النقدي للخطاب يعكس أهداف منتج النص وانتمائه الأيديولوجي، وتكشف بدورها عن علاقات القوة غير المتكافئة (صراع طبقي أو صراع أيديولوجي) بين المشاركين في الفعل التواصلي. وبالتالي، **فإن الهدف الرئيسي من هذا المفهوم هو الكشف عن العلاقات الأيديولوجية وموازين القوة الخفية الكامنة في الخطاب المنطوق والمكتوب**. (Mahdiyan & Rahbar, 2013, p. 36). واعتبر حاتم باسل وإيان مايسن (2001) أن «تحليل الأشكال اللغوية المستعملة من أفضل السبل لمعاينة المظاهر الأيديولوجية، حيث تتجلّى هذه العلاقة على مستويات عدة سواء المستوى المعجمي/ الدلالي أم المستوى النحوي/التركيبي». (ترجمتنا)

> one way of examining ideological structure, then, would be through an examination of language. This relationship may be identified at a number of levels : at the lexical/semantic level or the grammatical/syntactic level. (p. 178)

أما من الجانب العملي، يرى فيركلاف (**Fairclough**)(1998) :

text analysis is just one part of discourse analysis (…) which identified text, interaction, and social context as three elements of a discourse, and the corresponding distinction I drew between three stages of critical discourse analysis; *description* of text, *interpretation* of the relationship between text and interaction, and *explanation* of the relationship between interaction and social context. (p. 108)

ومفاد قوله « أن تحليل النص هو جزء من تحليل الخطاب [...] الذي يمر عبر عملية **معاينة النص، التفاعل وأخيرا السياق الاجتماعي** بصفتها العناصر الثلاث المكونة للخطاب، وتُقابل هذه العملية **ثلاث مراحل ضمن التحليل النقدي للخطاب وهي : وصف النص، تأويل العلاقة بين النص والتفاعل، وأخيرا شرح العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي**.» (ترجمتنا). استنادا إلى ما سبق، نجد عمليات التحليل النقدي للخطاب تتلخص في ثلاث مراحل هي **الوصف والتأويل والشرح**.

ومعناه أن منهج التحليل النقدي للخطاب « يستند إلى مسار منهجي دقيق وصارم، يبدأ بوصف الممارسة النصية، ثم يربط بين محصلاتها وما يعلن عنه تحليل التفاعل الِخطابي في السياق الاستعمالي، ثم تصبح جميع المحصلات معطيات لسانية جاهزة للتفسير الاجتماعي، أي الوصول إلى مظاهر التحكم وأطماع الهيمنة، والمقصودات الفعلية من الاختيارات اللسانية المعتمدة دون غيرها.» (محمد يطاوي، المرجع السابق، ص 11)

بناء على اختصاص الدراسة النقدية للخطاب في فضح مظاهر إنتاج السلطة من المداخل اللسانية، فلا بد أن نعي أن التحليل النقدي للخطاب ينشغل بُبنى الخطاب الكلية

Macro-structures والجزئية **Micro-structures** معا، محاولا تجسير الهوة الفاصلة بين المقاربة الكلية والمقاربة الجزئية. ذلك ما يميز هذه المقاربة عن دراسات الخطاب الثقافية والاجتماعية والنفسية والأنثربولوجية التي تعنى بالبُنى الكلية، ومقاربات التحليل اللساني للخطاب التي تركز على بناه الجزئية فقط. وبتعبير آخر، إن مقاربة التحليل النقدي للخطاب تركيب بين التحليل اللغوي وحالات الممارسات الاجتماعية، في أفق كشف ما يقتضيه التوظيف اللساني من سلطة وهيمنة. فإذا كانت مقاربات تحليل الخطاب ذات التوجه اللساني التي تسبق زمنيا مقاربة التحليل النقدي للخطاب، تُركز على وصف بُنى الخطاب اللغوية والاستعمالية، فإن هذه الأخيرة تختص بشرح بُنى الخطابات مع الأخذ في عين الاعتبار خواص التفاعل الاجتماعي والبنى الاجتماعية وتغيراتها. ومعنى ذلك أن التحليل النقدي للخطاب يركز على الطرائق والخيارات اللغوية على صعيد البنى الخطابية التي تُفعل علاقات التحكم والهيمنة والسلطة، وإضفاء الشرعية على صعيد البنية الاجتماعية. (يطاوي، المرجع نفسه، ص 12)

ويُضيف فان دايك (2006) في الجانب العملي من المفهوم :

«وبغية تجنب وصف هذا المنهج الاستكشافي بالإجراء **الاعتباطي** (**Arbitraire**) بالنظر للقدر الكبير من البنى النصية واللفظية المتغيرة أيديولوجيًا، من المفيد العمل بطريقة أكثر منهجية وتنظيما. لقد رأينا أن الأيديولوجيات تعتمد في أغلب الأوقات على الاستقطاب الذي يعكس التنافس أو الصراع في الانتماء إلى جماعة وتصنيف الأفراد إلى من ينتمي إلى

الجماعة / خارج الجماعة ... وتظهر هذه البنى أيضًا في شكل مواقف... وتتحكم هذه النماذج الذهنية في "محتويات" الخطاب. حيث تُظهر العديد من الأبحاث أن الخطاب الأيديولوجي يحتوي غالبًا على أربع استراتيجيات يُطلق عليها اسم "**المربع الأيديولوجي**" وهي :

- **إبراز إيجابياتنا**

Emphasize our good things
Accentuer nos points positifs

- **إبراز سلبياتهم**

Emphasize their bad things
Accentuer leurs points négatifs

- **تذليل سلبياتنا**

De-emphasize our bad things
Atténuer nos points négatifs

- **تذليل إيجابياتهم**

De-emphasize their good things
Atténuer leurs points positifs

حيث يمكن تطبيق هذه الاستراتيجيات العامة على المستويات التالية : **الفعل** (**Action**)، **والمعنى** (**Sens**) **والشكل النصي أو اللفظي** (**La forme textuelle ou verbale**) ». (p. 110)

نتيجة لتداخل الدراسات اللسانية الموجهة للخطاب مع مجالات معرفية واحتكاكها بعديد حقول العلوم الإنسانية وانفتاحه على نظريات أخرى من خارج حقل اللسانيات، برزت « مقاربات متعددة داخل منهج التحليل النقدي للخطاب، وتفككت عنه ستة مناهج إلى حدود نهاية الألفية الثانية، وهي: المقاربة العلائقية الجدلية، والمقاربة المعرفية الاجتماعية، والمقاربة التاريخية لتحليل الخطاب، ومقاربة الفاعل الاجتماعي، والتحليل التنظيمي للخطاب، ولسانيات المدونات» (محمد يطاوي، المرجع السابق، ص 11) ويُمكن للقارئ الاطلاع على تفاصيل أكثر حول هذه المقاربات بالرجوع لكتاب يطاوي محمد (2018c) : المرجعية اللسانية في التحليل النقدي للخطاب (في الأصول ونقد المناهج).

وبالرغم من تعدد المقاربات داخل التحليل النقدي للخطاب، إلا أنها «تميل جميعها إلى التوليف بين تحليل النص والنظر في السياق الاجتماعي الأوسع لأن إيجاد تفسيرات إجتماعية للاختيارات يشترط أن يكون المحلّل مُلما بالمجال المعرفي. هكذا سيعرف التحليل النقدي للخطاب ظهور مقاربات تتفرع منه لكنها تستحضره وتتفق مع مبدئه الأول حتميا المتمثل في مركزية الاشتغال اللساني بمرحلتيه الأولى والثانية : الوصف النصي وتحليل التفاعل الخطابي (مع العوامل الاجتماعية). وبناء على اشتراط المواضيع المدروسة لأطر تحليلية منسجمة مع الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه وخاصة في المرحلة الثالثة: التأويل الاجتماعي، ستخرج للوجود المقاربات». (يطاوي، 2018a، ص 362). ومعناه أن عملية التحليل لا تتغير في مرحلتيها الأوليتين (وصف النص، تأويل العلاقة بين النص والتفاعل) ضمن جميع

المقاربات الست، بينما تتباين في المرحلة الثالثة (شرح العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي) بتباين الموضوع ومجاله المعرفي. وفي هذا المقام، سنكتفي بتعريف **المقاربة التاريخية للخطاب** وشرح خصائصها وآلياتها بما أننا سنعتمد عليها في إنجاز العمل التطبيقي خدمة للهدف المرجُو من هذه الدراسة.

1.3- المقاربة التاريخية للخطاب Discourse Historical Approach

يعتبر «حقل تحليل الخطاب حقلا واسعا هو أيضا تعددت مقارباته وتنوعت آلياته. وذاك التنوع في أدوات التحليل وآلياته فتح أمام الخطاب باب القراءات على مصراعيه. ولكن رغم ذلك التعدد وعلى الرغم من إمكانية استخدام تحليل الخطاب في كل مجالات البحث، فإنه تبقى لهذا الحقل أسسه النظرية والمنهجية... حيث إن التعدد في اعتماد المقاربات هو الذي يسمح بتقديم فهم أكثر اتساعا للخطاب. فكلما ولجنا الخطاب من مقاربة ما إلا وتمكنا من إدراك ذلك الخطاب من زاوية ما من زواياه ومن تبين دور اللغة فيه». (جمعة صبيحة، المرجع السابق، ص 19)

تتبنى المقاربة التاريخية للخطاب على غرار باقي مقاربات التحليل النقدي للخطاب «مبدأ التعالق بين البُنى النصية والتفاعلات الخطابية والأنساق الاجتماعية، وتحاول أن تُحلّل الخطابات بإضفاء طابع التاريخية على التحليل ... وتتناول هذه المقاربة تحليل الخطاب بدءا من ربطه بالشروط التاريخية والاجتماعية، ... إذ تنظر إلى الخطاب باعتباره ممارسة اجتماعية تتأطر ضمن السياق الاجتماعي... فيكون شرحها للعلاقات بين الأبعاد اللسانية والتشكلات الخطابية وبين العوامل الاجتماعية مؤطرا بالتفاصيل الدقيقة بالسياق التاريخي الذي نشأت فيه تلك العلاقات. ثم إن الخطاب من وجهة نظر هذه المقاربة حدث اجتماعي تاريخي ونمطه مُحدّد بواسطة عوامل الحقول الاجتماعية التي أنتج فيها. ويترتب على فهم هذه العلاقة الثلاثية (الخطاب -المجتمع – التاريخ) أن تحليله النقدي يقتضي الإلمام بكل حيثيات السياق الاجتماعي وأحداثه الكثيرة المتزامنة أو المتعاقبة والبحث عن تفسيرات عابرة

لنطاقات الممارسة النصية، الممارسة التفاعلية الخطابية والممارسة الاجتماعيـــة، لأن التـــاريخ محتضن للجميع. وأن الهدف من الاشتغال النظري بهذا المعنى هو التنوير الصـــحيح والمُثمـــر حول المواقف التاريخية والاجتماعية، وهي مواقف أيديولوجية سلطوية (بـــالمفهوم العـــام) تتدخل في تشكُل النص وتفاعل الخطاب وفي التفسير كذلك. لذلك ترتكز المقاربة التاريخية للخطاب على مفهوم السياق بشكل بارز، ولعل مصدرها الأول في ذلك هو مُجمـــل مـــا توصلت إليه نظرية النحو الوظيفي النسقي مع هاليداي (Halliday) (أنظر نشأة المفهوم). إذ ينطلق كل تحليل وفق هذه النظرية من تحليل السياق باعتباره متحكما في الممارسة اللغويـــة (السياق يتحكم في التركيب). حيث تستند هذه المقاربة إلى مفهوم الســـياق، غـــير أنهـــا تجاوزت نظرة النحو الوظيفي النسقي بالنظر إلى اعتبار الممارسة اللغوية مـــؤثرة في البنيـــة الاجتماعية ضمن سياق تاريخي ما ... إن أهمية السياق داخل هذه المقاربة منبعثة من علاقة السيرورات التاريخية بما يحدث من تغيرات وتحولات في بنية المجتمع في كل حقبـــة متســـمة بخصوصيات تُميّزها عن سابقاتها ولاحقاتها ... **حيث يتم دائما تحليل الســـياق التـــاريخي ودمجه في تفسير الخطاب والنص**. فيبدو أن التركيز الكبير على السياق ينطلق من مركزيـــة التغيرات الاجتماعية وطبيعة العوامل السياقية التي أفرزتها، والعلاقة الجدلية بين هذه العوامل وأنساق التغيير وهي عوامل ذات طابع تاريخي محض، وطبيعي أن تتدخل هـــذه الـــتغيرات بعواملها في إنتاج النصوص وتفسيرها. يجب أن لا نُغفل أن هذه المقاربة التاريخيـــة تنطلـــق كغيرها من مقاربة التحليل النقدي للخطاب من الاشتغال اللساني على النصوص والخطابات

المتفاعلة اجتماعيا وتاريخيا، مقدمة توصيفا داخليا للبنى العميقة للنص والتقاطعات التي يستضيفها التفاعل الخطابي قبل التفسير القائم على رصد التغيرات الاجتماعية في السياق التاريخي المحتضن وإيجاد العلاقات الخفية الرابطة بينها وبين الاختيارات اللغوية. وتعمل هذه المقاربة في شقها اللساني أي في وصف الممارسة النصية والممارسة الخطابية وفق رؤية استقرائية تنطلق فيها من التوصيف الدقيق للنصوص ورصد شبكات العلاقات اللغوية ونظيراتها الاجتماعية والتاريخية.» (يطاوي محمد، المرجع السابق، ص 366-368)

فإذا « ما اعتمدنا المقاربة التاريخيّة والثقافيّة لتحليل الخطاب فإنّنا سنستنتج أن فهمنا للعالم ومعرفتنا به هو ناتج التبادلات القائمة تاريخيّا بين البشر، وهذا يعني أن فهمنا للعالم يكون مشروطا تاريخيّا وثقافيّا فيصبح بذلك الخطاب شكلا من أشكال الفعل الاجتماعي الذي يلعب دورا في إنتاج العالم الاجتماعي.» (جمعة صبيحة، المرجع السابق، ص 19)

لقد « تعددت النظريات والمباحث اللسانية التي بُنيت عليها مباحث هذه المقاربة التاريخية للخطاب، بل إنها طالما حاولت التوفيق بين السياق وجزئيات لغوية كثيرة في النصوص والخطابات، فاستدعت نماذج من حقول لسانية متنوعة :

* أنواع الحجج والمهارات التفاعلية الخطابية القائمة على الخطط الحجاجية.

* المؤشرات المباشرة وغير المباشرة والصيغ الصرفية الدالة على الزمان والمكان.

* الألفاظ ودلالاتها القديمة والجديدة.

* التحليل الوظيفي النسقي للسياق.

* النعوت والمركبات الوصفية.

* التماسك التركيبي، الاتساق والانسجام.

* الاقتضاء والإحالة.

* الأدوات اللغوية والضمائر وإحالاتها التأويلية.

* العلاقات النحوية بين أركان الجمل الفعلية والجمل الاسمية والجمل الشرطية (التطابق – الإسناد ...)

* المبالغة (في حالات التضخيم)، الحذف (في حالات الحجب)، تحليل الصور البلاغية (في حالات التلطيف)، التورية (في حالات التضليل والتلاعب والتبخيس)، الإيجاز (في حالات نفي القيمة) والإطناب (في حالات التعظيم والتبجيل).» (يطاوي محمد، المرجع السابق، ص 368)

تتلخص المقاربة التاريخية لتحليل الخطاب في ربط التحليل أولا بالشروط التاريخية والاجتماعية، ضمن سياق اجتماعي يتكفل بشرح العلاقات بين الأشكال اللغوية والخطابية وربطها بالتفاصيل الدقيقة للسياق التاريخي الذي نشأت فيه تلك العلاقات. بمعنى أن التحليل مبني على فهم علاقة الخطاب بالمجتمع والتاريخ، وأنه يقتضي الإلمام بكل حيثيات السياق الاجتماعي بأحداثه المتزامنة أو المتعاقبة. لذلك ترتكز المقاربة التاريخية للخطاب على مفهوم السياق، إذ ينطلق كل تحليل وفق هذه النظرية من تحليل السياق باعتباره متحكما في الممارسة اللغوية (السياق يتحكم في التركيب). كما تعتمد هذه المقاربة على وصف

الأشكال النصية والخطابية انطلاقا من الوصف الدقيق للنصوص ورصد شبكات العلاقات اللغوية ونظيراتها الاجتماعية والتاريخية.

في ضوء ما سبق، أدركنا أن التحليل النقدي للخطاب قد تبنّى مقاربة نقدية لدراسة اللغة تسمح بتجلّي مظاهر المحتوى الأيديولوجي في اللغة، فلا شك أن يقع الشكل اللغوي الذي يعبّر عن معاني الأيديولوجية ضمن نطاق منهج التحليل النقدي للخطاب الذي يهدف إلى الكشف عن كيفية تأثير الأيديولوجية في الخيارات اللغوية التي يقوم بها كاتب النص، وكيفية استخدام اللغة لتثبيت الأيديولوجيات وتعزيزها. وبالنسبة ل **بول سيمبسون Paul Simpson** فإن « الهدف الرئيس من وراء هذا النوع من التحليل هو استكشاف أنظمة القيم ومجموع المعتقدات التي توجد في النصوص، أو بالأحرى استكشاف مواطن انعكاس الأيديولوجية في اللغة.» (Simpson cited in Munday, 2008, p. 8)

ومنه، باتت علاقة الأيديولوجية بالتحليل النقدي للخطاب علاقة واضحة، حيث يسمح هذا النوع من التحليل الكشف عن مظاهر الأيديولوجية التي تتجسّد لغويا في الخطاب.

2- الترجمة والتحليل النقدي للخطاب

تعددت مناهج تحليل الترجمة بتعدد المدارس ومرجعياتها، ومن بينها برز منهج التحليل النقدي للخطاب بصفته مقاربة لا تنحصر في مقابلة بسيطة بين نسقين لسانيين، وإنما عملية تستوجب القدرة على الفهم والتأويل والتحليل.

لم يكن للتحليل النقدي للخطاب أثر على فرع اللسانيات التطبيقية فحسب، بل تجاوزه إلى الدراسات الترجمية أيضا «وسلك طريقه إليها وتجذّر فيها عبر النظريات الوظيفية للترجمة، فإذا كانت عملية تحليل النصوص تتكفّل بوصف طريقة تنظيم النصوص من الناحية التركيبية للجمل والتنسيق بينها إلخ ...، يركّز تحليل الخطاب على طريقة نقل المعاني والعلاقات الاجتماعية وكذا علاقات موازين القوة بواسطة اللغة ». (Munday, 2001, p. 89)

ونتيجة لاندماج التحليل النقدي للخطاب في الدرس الترجمي، « أصبح النظر إلى مفهوم الترجمة متاحا من زاوية مختلفة. فإذا كان النص المصدر قد تمّ إنتاجه في سياق اجتماعي وثقافي مُحدد وفق معايير وقيم ذلك المجتمع أو نظامه، فإن الخلفية الاجتماعية والثقافية للمترجم وكفاءته اللغوية وخبرته في التعامل مع النصوص والخطابات الأخرى تؤثر بشكل مباشر في عملية الترجمة إلى النص الهدف. ومرد ذلك إلى حقيقة مفادها أن المترجم يُجسّد نظرته الخاصة للعالم وأيديولوجيته في الترجمات بوعي أو دون وعي منه وفقا لفهمه الخاص للترجمة أو متطلباتها.» (Mahdiyan & Rahbar, op.cit, p. 36)

وتعد **السلطة** (**Power**) من بين أنواع العلاقات في تحليل المعنى بين الأفراد، حيث يمكن لتشكيلة الخيارات التي يقدمها المترجم على مستوى المفردات والتراكيب المتاحة في اللغة أن تُشكل المعنى الذي تواضع عليه الأفراد. ومنه، أصبح الدرس الترجمي يتصل ببعض المفاهيم مثل السياق والوظائف والثقافة والتناص والأسلوب والنوع والخطاب المنطوية تحت الدراسات الوظيفية وتحليل الخطاب وكذا الدراسات الثقافية وعلوم الاتصال، الشيء الذي جعل منه درسا متعدّد الفروع (...) ويستخدم التحليل النقدي للخطاب (**CDA**) أساسا في تحليل العناصر اللغوية للنّص في لغة وثقافة معيّنة. وتعد الترجمة من منظور التحليل النقدي للخطاب فعلا اجتماعيا وثقافيا وسياسيا تتّم من خلاله محاولة الجمع بين العناصر الثلاثة التي حدّدها هاليداي لتحليل النص الأصل والنص الهدف. (Munday, op.cit, p. 91).

ويُعتبر النشاط التواصلي بين البشر وفق ضوابط اجتماعية وثقافية عاملا مشتركا في التحليل النقدي للخطاب والدراسات الترجمية، وأن النصوص والخطابات هي نتاج له. وعليه، من الواجب أن لا نحصر عمل المترجم في وظيفة الوسيط الذي يترجم من لغة إلى أخرى، بل يجب النظر إليه على أنه منتج لخطاب جديد في لغة الهدف، (Schaffner, 2004, p. 136) ذلك لأن المترجم يتبوأ مهمة خلق عملية تواصل جديدة في بيئة لغوية مغايرة انطلاقا من عملية سابقة، تتبلور باستخدام مرجعيته المعرفية (اللغوية والاجتماعية والثقافية) والتفاوض حول المعنى بين النص الأصل والنص الهدف. ومن خلال هذه العملية، يتم تلقي

الترجمة على أساس أنها نص تمّ تكييفه مع سياق اجتماعي وثقافي جديد منبثق عن نص أول قائم في سياق اجتماعي وثقافي خاص به. (ibidem, p. 138)

يتمحور موضوع التحليل النقدي للخطاب ظاهريا ضمن الدراسات الترجمية المتصلة بدور المترجم في العملية الترجمية وفقا للاستراتيجية التي يختارها والجمهور الذي يستهدفه. وفي هذا السياق، نجد كريستينا شافنر قد ركزّت اهتمامها على الهدف من الترجمة والجمهور المستهدف من زاويتين: جمهور له تقريبا المعرفة نفسها حول موضوع النص الأصل. وجمهور يفتقر إلى معرفة حول قضايا النص الأصل. وبالتالي، يبرز في الأفق هدفان رئيسيان في الترجمة:

أ)- أن يقوم المترجم بعملية النقل مع بعض التغييرات في النص الهدف. وتندرج ضمن هذه الاستراتيجية عمليات الحذف والإضافة، التشويه والتغيير التي يمكن الكشف عنها بواسطة التحليل النقدي للخطاب (مقاربة دينامية).

ب) – أن يقوم المترجم بعملية النقل إلى النص الهدف مع الامتناع عن إحداث تغييرات كبيرة وفقا لإستراتيجية الترجمة الأمينة (مقاربة حرفية). (ibidem, 17)

وخلاصة ما سبق، يمكن القول أن التحليل النقدي للخطاب الذي دخل قاموس الدراسات الترجمية منهج تحليلي يهتم بدراسة العلاقة بين الخطاب والأيديولوجية سعيا إلى إظهار كيفية انزياح النص تجاه أيديولوجية معينة، ويتم التحليل النقدي للخطاب عبر عمليات معاينة النص (الوصف)، التفاعل (تأويل العلاقة بين النص والتفاعل)، وأخيرا شرح

العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي. وهو قابل للتطبيق على النص الأصل والنص الهدف على حد سواء، فكما لصاحب النص خيارات لها دوافعها اللغوية والثقافية في إنتاج النص الأصل، نجد للمترجم كذلك خيارات لها مرجعياتها في إنتاج النص الهدف في لغة وثقافة وسياق جديد. ومنه، تتحدّد الاستراتيجية الترجمية وفقا لنوع النص والهدف من الترجمة.

3- التحليل النقدي للخطاب: الكشف عن أثر الأيديولوجية في اختيار المفردات

يرى بعض الباحثين أن « اللغة هي عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير [...] ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات أخرى بديلة (نور الدين السد، 1977 : 156). ويُعد الاختيار أمرًا محوريًا في تعريف الأسلوب على غرار تعريف نايدا وتابير (Nida & Taber) (1969):

> Style: the patterning of choices made by a particular author within the resources and limitations of the language and literary genre in which he is working. (p. 207).

ومفاده : « الأسلوب هو نمط الاختيارات التي يقوم بها مؤلف معين في حدود المقدرات والقيود اللغوية والنوع الأدبي الذي يعمل فيه». (ترجمتنا) فلكل فرد أسلوبه الخاص:

> Any utterance, oral or written … and in any sphere of communication, is individual and therefore can reflect the individuality of the speaker (or writer), that is, it possesses individual style». (Bakhtin cited in Munday, 2008, p. 8)

ومعناه أن « أي ملفوظ شفوي أو كتابي .... في أي مجال من مجالات الاتصال، هو طريقة فردية للتعبير وبالتالي يمكن أن تعكس فردانية المتحدث (أو الكاتب) وتدل بأنه يمتلك أسلوبا خاصا به.» (ترجمتنا) ومع ذلك، فإن الأشكال اللغوية تعد جزءًا من "قاعدة معارفنا" وأن لكل فرد لغته الخاصة سواء كانت منطوقة أو مكتوبة يكتسبها بطرق مختلفة كنتيجة للخبرات المختلفة ... ومن هنا عُدّت جميع اختياراتنا اللغوية نتيجة لخبراتنا السابقة مع

الأشكال اللغوية وتصورنا وإدراكنا للتواصل الملائم بمختلف احتمالاته. وقد يكون هذا الاختيار بوعي أو دون وعي، أي أن لكل منا ميول إلى أسلوب يبرز من طريقة الكتابة حتى لو لم نكن ندرك ذلك حينها. (Ibidem, p. 8)

غير أنه « لا يمكن اعتبار كل اختيار يقوم به المنشئ اختيارا أسلوبيا. ومنه، فإنه من الضروري تحديد نوعين مختلفين من الاختيار: اختيار محكوم بالموقف والمقام. واختيار فيه مقتضيات التعبير الخالصة. النوع الأول اختيار نفعي يهدف إلى تحقيق هدف معيّن. أما النوع الثاني فهو الاختيار النحوي بكل ما تشمله قواعد اللغة من مباحث صوتية وصرفية ودلالية ونظم الجملة.» (نور الدين السد، المرجع السابق، ص 156). فالنوع الأول من الاختيار هو الذي يخص دراستنا « لما تحمله المفردات في الخطاب من إيحاءات إيجابية أو سلبية للمجال الدلالي الذي تنتمي إليه، وطريقة تعبير كل منها عن الفكرة أو المعنى المنقول. وقد تعكس نوعا من العلاقات بين أطرافه أو بين أطرافه والموضوع المتحدث عنه، فتكون إيجابية متعاطفة تارة، وعدائية تارة أخرى.» (الزليطني، المرجع السابق، ص 14).

لكن ثمة سؤال يتعلق بعلاقة الخيارات المعجمية والنحوية بالسياق الأيديولوجي والسوسيو-ثقافي. ففي هذا الشأن، يرى فان دايك (1998) أن :

> Lexicalizaton is undoubtedly one of the most obvious forms of ideological expression in discourse. (p. 270)

أي أن «المفردات هي دون شك أحد أهم مظاهر التعبير الأيديولوجي في الخطاب» (ترجمتنا)

لأن تشفير الأحداث بواسطة اللغة يستدعي اختيارات لغوية من بين خيارات أخرى متاحة، وهي ذات دلالة أيديولوجية.

ويؤكد فان دايك (1998) أيضا :

> The most obvious and therefore most widely studied form of ideological expression in discourse may be found in the words being chosen to express a concept. (p. 270)

أي أن « الأشكال المعبرة عن الأيديولوجية الأكثر ظهورا في الخطاب وبالتالي الأكثر دراسة تتواجد في المفردات التي يتم اختيارها للتعبير عن مفهوم معيّن.» (ترجمتنا)

و يضيف:

> simply spelling out all implications of the words being used in a specific discourse and context often provides a vast array of ideological meanings. (p. 205)

أي أن « مجرد توضيح الآثار المترتبة عن الكلمات المستخدمة في خطاب وسياق معين، غالبا ما يطرح مجموعة واسعة من المعاني الأيديولوجية.» (ترجمتنا)

وفي جميع الحالات، تعكس مفردات الخطاب مواقف المتكلمين إزاء الآخرين ومقاصد حديثهم، والقيم التي يؤمنون بها ويودّون فرضها أو إقناع الآخرين بمصداقيتها. وقد يقوم الخطاب على مفردات هي في الواقع مجازات تعكس إدراك المنشئ للوقائع والأشياء التي هو بصدد الحديث عنها وتتكفل بنقل تلك المفردات من مجال استعمال إلى مجال آخر مغاير. وليست تلك المجازات أدوات زخرفة وزينة نُتحف بها الخطاب، بل هي أدوات تعكس

تصورات معيّنة عن الواقع، و وسائل نُمثل عن طريقها جوانب من تجربتنا من خلال علاقتها بأخرى. ذلك لأن نسقنا التصوري استعاري بطبيعته... والاستعارة ليست بلاغية تجميلية. (لايكوف وجونسن- ذكر في الزليطني، المرجع السابق، ص 15).

ومنه، يتأكد أثر الأيديولوجية في الخيارات المعجمية والنحوية لأنها في الواقع متاحة لجميع مستخدمي اللغة، غير أن اختيار كلمة على حساب أخرى قد يكون مؤشرا على موقف أيديولوجي معيّن. ومن شأن كل اختيار أن يتضمن بعدا أيديولوجيا، وهو يُبرز بالدرجة الأولى التبعات الأيديولوجية لهذا لاختيار. (Hatim & Mason, 1997, p. 120)

فلا شك أن الخيارات اللغوية التي يقوم بها الكتّاب والمترجمون ليست وليدة الصدفة، وأن تحليل كثافة وتوزيع الكلمات في النص من شأنه أن يُبرز الإجراء الذي تتّم به خدمة الأيديولوجية. والحال أن هذه الخيارات هي تعبير يقيني عن موقف أيديولوجي يتبنّاه الكاتب. ومنه، عدّ التحليل النقدي للخطاب الإطار المناسب للكشف عن المحتوى الأيديولوجي والطرق التي تتشكل بها الأيديولوجية أو يتم بواسطتها تثبيتها في النصوص. ويسمح هذا المنهج للمحلّلين تحديد مظاهر الأيديولوجية في النص من خلال تحليل الوحدات اللغوية.

تبيّن من خلال هذا الفصل ولوج البعد الأيديولوجي في الدرس الترجمي خاصـــة في العقود السابقة لاتصاله بالمعطى الثقافي، وأصبح مادة دسمة تناولها المُنظرون بالدراسة بصـــفته

عنصرا فعّالا له دوره في مسار الترجمة وفي الخيارات التي يقوم بها المترجمون، وله بالإضافة إلى ذلك أثره في تحديد السلوك الترجمي.

تنطلق دراستنا التطبيقية التي ستتبع من المسلّمة التي تُفيد بأن اللغة التي يستخدمها جميع المترجمين مثلهم مثل باقي البشر هي تعبير عن المواقف الأيديولوجية (من حيث أنظمة القيم ومجموع المعتقدات) التي تعد جزءا من مرجعيتهم الاجتماعية والثقافية والتاريخية التي يكون لها تأثير على النص أثناء نقله إلى لغة الترجمة، وفقا للدور الذي يلعبه الناشرون والمؤسسات وبعض المترجمين بخلفياتهم. (Munday, 2008, p. 8)

ومن خلالها، بعد عرض شرح لعلاقة اللغة بالأيديولوجية والتحليل النقدي للخطاب، سنعمل على تحليل النماذج المنتقاة من المدونة التي اخترناها لإنجاز الدراسة التطبيقية تحليلا تقديا للخطاب وفق المقاربة التاريخية لتحليل الخطاب لتسليط الضوء على المعطى الأيديولوجي عبر إجراءات التشويه والحذف والإضافة في عملية ترجمة المفردات المختارة حتى تتضح الرؤية أكثر للقارئ، ويتمكن من معاينة مدى فعالية هذا المنهج في الكشف عن مظاهر الأيديولوجية وعرض تجلياتها ومظاهرها في ثنايا اللغة ورفع اللثام عن الدوافع التي تكمن وراء الاختيارات والقرارات التي يتخذها المترجم قصد التحكم في عمليات التبادل والتواصل.

وقبل الولوج إلى الفصل الموالي المخصّص للدراسة التطبيقية، نود إزالة اللبس عن مفهوم التحليل النقدي للخطاب لأن التصور السائد يجعل منه منهجا نقديا للتمييز بين مواطن الجودة والرداءة، والحقيقة أن مفهوم النقد هنا لا يختص بالنقد الجمالي أو البنيوي أو النفسي أو الثقافي، وإنما القصد منه إزالة اللثام عن النوايا والأهداف غير المعلنة التي تُضمرها الاختيارات اللسانية في الخطاب الأدبي.

الفصل الثالث:

دراسة تحليلية نقدية للمدونة

في ضوء التحليل النقدي للخطاب

تمهيد :

تبيّن ممّا سبق أن الأيديولوجية عنصر مؤثر في لغة البشر وأن تحليل الأشكال اللغوية يعد ضمن هذا الطرح السبيل لدراسة اللغة والخطاب. أما بالنسبة إلى طومسون Thompson:

> The study of ideology is a study of the ways in which meaning is constructed and conveyed by symbolic forms of various kinds. This kind of study will also investigate the social contexts within which symbolic forms are employed and deployed. (Wodak & Meyer, 2001, p. 1)

ومفاد قوله أن «دراسة الأيديولوجية هي دراسة السبل التي يتم وفقها بناء المعنى ونقله بأشكال رمزية مختلفة. كما يبحث هذا النوع من الدراسات في السياقات الاجتماعية التي يتم فيها استخدام أشكال الرموز وتثبيتها.» (ترجمتنا)

دخل مصطلح الأيديولوجية قاموس الدراسات الترجمية ولقي اهتمام المنظرين المعاصرين حينما أتاح التحليل إبراز الأثر الأيديولوجي الذي يتخلّل الترجمة. وفي سياق دراستنا، سنتخذ المقاربة التاريخية للخطاب ضمن منهج التحليل النقدي للخطاب منهجا لتحليل الترجمة تحليلا نقديا يساعدنا في الكشف عن ثلاث إجراءات ترجمية على مستوى المفردات تتعلق **بالتحريف والتشويه، الحذف والإضافة**، وهي إجراءات تنعكس من خلالها مظاهر ومواقف أيديولوجية تهدف إلى التحكم في الرسالة التي تتخلّل الترجمات. كما نرمي من خلاله إلى الكشف عن مواطن التأثير الأيديولوجي الذي لا يستثني في حقيقة الأمر أي

مترجم، والتحسيس بأثر الأيديولوجية في تحديد الخيارات اللغوية التي يقوم بها كاتب النص أو المترجم لكي تُخلّف نظرة خاصة للأحداث وطريقة في تصويرها من جهة، والتعبير عن مواقفه وتوجيه مواقف القارئ من جهة أخرى.

وفي سبيل ذلك، اخترنا مدونة تتمثل في أحد أعمال الروائي نجيب محفوظ وهي رواية « **قصر الشوق**» وترجمتها إلى الفرنسية بعنوان «**Le Palais du Désir** » على يد فيليب فيغرو (**Philippe VIGREUX**)، وهو السند الذي يتمّ ضمنه إنجاز العمل التطبيقي في هذه الدراسة.

المبحث الأول: المدونة

تمهيد :

الرواية جنس من الأجناس الأدبية وتُعرف أنها قصة طويلة يـــروي فيهـــا الكاتـــب أحداثاً بشخصيات كثيرة ومتنوعة، وقد تكون الرواية خياليّة أو واقعية مثلما هـــو الحـــال بالنسبة للمدونة التي وقع عليها اختيارنا، تتخذ من الواقع الإنساني مادة ومصدر إلهام يتجسد بوسائل لغوية تستعمل مفردات وصيغ وتراكيب منتقاة تتكفل بنقل رسالة المؤلـــف، وفقـــا للاستخدام اللغوي السائد على أرض الواقع والرسالة المراد إيصالها.

و لم يكن اختيارنا رواية نجيب محفوظ « **قصر الشوق**» وترجمتها إلى الفرنسية بعنوان «**Le Palais du Désir** » على يد فيليب فيغرو (**Philippe VIGREUX**) وليد الصـــدفة، وإنما نتيجة لحرصنا الكبير على خدمة الموضوع الذي أردنا دراسته مســـتندين في ذلـــك إلى ثلاثة أسباب رئيسية هي:

الأول: يتصل بالجانب **الإبداعي الجمالي** لكون الرواية من أشهر روايات الكاتـــب نجيـــب محفوظ والمؤلفات العربية المترجمة، برع المؤلف في السرد الروائي و وصف نمط الحياة السائد في الحارة المصريّة البسيطة بكل مكوناتها وتفاصيل الحياة فيها، بتقاليدها وعاداتهـــا وطبيعـــة العلاقات الاجتماعية فيها.

الثاني: يتصل بالجانب **العملي** لأنه نص مشبّع بخصائص الثقافة العربية الإسلامية ومقوماتها،

وأن الترجمة قد تمّت على يد مترجم فرنسي ينتسب إلى ثقافة تختلف عن ثقافة مؤلف النص الأصل من حيث اللغة والمعتقد والأفكار.

الثالث: يتصل بالجانب **البراغماتي** لأنه من الأهمية بمكان أن نقارن بين النص الأصل وترجمته إلى اللغة الفرنسية للوقوف على كيفية تعامل المترجم الأجنبي مع العناصر الثقافية والدينيـــة على وجه التحديد.

1- التعريف بالمدونة :

تتمثل المدونة التي شكلت سند هذه الدراسة في رواية من تأليف الروائـــي المصـــري نجيب محفوظ سنة 1957 عنوانها « **قصر الشوق**»، تمّت ترجمتها سنة 1987 إلى الفرنسية بعنوان «**Le Palais du Désir**» على يد الكاتب الفرنسي (**Philippe VIGREUX**). وهي الجزء الثاني من الثلاثية الشهيرة.

وشملت هذه الرواية الشخصيات الآتي ذكرها :

- **السيد أحمد عبد الجواد** :تاجر في منتصف العقد الخامس من العمر، له خمسة أبنـــاء أكبرهم من زواج سابق، وأوسطهم استشهد في أحداث ثورة يوليو عام 1919، وكان هذا الابن من الشخصيات الرئيسية في الجزء الأول(بين القصرين). والسيد أحمد صاحب شخصيتين: في البيت هو الزوج والأب الصارم، صاحب الهيبة والنفوذ، والمحافظ علـــى أداء الصلوات. ومع أصدقائه هو الصديق المرح، الذي يسهر كل ليلـــة مـــع أصـــدقائه الثلاثة، مع الخمر والمومسات والعود والطرب. وإن كان قد ترك هذه العـــادة خمـــس سنوات حزنا على فقد ابنه، فإن أصدقاءه شجعوه على العودة إليها فاستجاب لهم.
- **السيدة أمينة**: زوجة السيد أحمد عبد الجواد، تتسم بكل صفات ربة البيت في ذلـــك الزمان: الجهل، الخوف من العفاريت، الطاعة العمياء للزوج واعتباره سيدها وعدم الجرأة

على مواجهته بأخطائه أو حتى مجرد نصحه. وهي في الجانب الآخر تحمل كل الصفات الجميلة للأم من طيبة وحنان ورعاية لشؤون المترل.

- **ياسين:** هو الابن الأكبر للسيد أحمد. شاب في نهاية العشرينيات، شهواني بكل ما في الكلمة من معنى ولا يعرف في حياته سوى الخمر والنساء. ورث عن أمه بيتا في (قصر الشوق)، الحي الذي يحمل هذا الجزء من الثلاثية اسمه. تزوج ياسين في المرة الأولى من ابنة صديق والده (زينب) وأنجبا طفلهما (رضوان)، لكنهما انفصلا بسبب نزوات ياسين التي لم يتب عنها حتى بعد الزواج. في المرة الثانية تزوج (مريم)، ولم يكن لهذا الزواج من داع سوى أنه رغب فيها فتمنعت وأبت عليه إلا الطريق الحلال. لكنه ينفصل عنها لنفس السبب السابق. ثم يتزوج (زنوبة) وتحمل منه بسرعة، ونشهد خبر إنجابها في نهاية هذا الجزء من الرواية.

- **خديجة:** هي ابنة السيد أحمد، متزوجة من إبراهيم شوكت ولديها طفلان. ربة بيت مثالية إلى حد الهوس بالنظافة، وهي إلى جانب ذلك حادة الطبع مع زوجها وحتى حماتها.

- **عائشة:** الابنة الثانية للسيد أحمد، متزوجة من خليل شوكت أي أنها وأختها زوجتان لأخين، عكس أختها في كل شيء، جميلة جدا، كسولة جدا، ومسالمة جدا مع زوجها وحماتها، ولديها ثلاثة أطفال.

- **كمال**: كمال هو البطل الحقيقي لرواية (قصر الشوق)، فمنذ بداية الرواية نشهد التحضير للاحتفال بنجاح كمال في البكالوريا، ثم نقاشه مع والده حول المدرسة التي كان ينوي دخولها، ونشهد العديد والعديد من جلساته مع أصدقائه: حسين شداد وحسن سليم وإسماعيل، المختلفين عنه في كل شيء، في الفكر والمبادئ والمستوى المادي والمعيشي. ونشهد أيضا وقوعه في غرام شقيقة حسين (عايدة)، ثم خطبة عايدة إلى حسن وزواجهما بعدها بأشهر. ثم نشهد في النهاية تحولا جذريا في فكر كمال ومبادئه.

2- التعريف بالكاتب :

ولد نجيب محفوظ عام 1911 في مدينة خان الخليلي في القاهرة، وتخرج من قسم الفلسفة بكلية الأدب، لكنه دخل عالم الكتابة مبكراً حيث نشرت أول روايته (مصر القديمة) عام 1932، ويعد من أهم الكتاب في العالم وترجمت أعماله إلى مختلف اللغات. وكان نجيب محفوظ غزير الإنتاج، من أشهر أعماله « **ثلاثية القاهرة** » التي تعد من الأعمال الأدبية التي لقيت رواجا كبيرا، فقد أتاح للقصة بثلاثيته أن تبلغ من الإتقان والروعة ومن العمق والدقة ومن التأثير الذي يشبه السحر ما لم يصل إليه كاتب مصري قبله، وهي تتكون من روايات: «**بين القصرين**» (1956)، « **قصر الشوق**» (1957)، « **السكرية**» (1957)، وكانت سببا في حصوله على جائزة نوبل في الأدب سنة 1988.

كما حصل على عدد كبير من الجوائز المحلية والعالمية عن أعماله الروائية والأدبية .وتوفي عام 2006 عن عمر ناهز 95 عاما، وتحولت العديد من كتبه وروايته إلى أعمال سينمائية ودرامية.

مرّ إبداع نجيب محفوظ بمراحل عديدة ارتبطت بالتطورات السياسية والاجتماعية للواقع المصري، وتنوع مصادر المادة الموضوعية أو مصدر الإلهام في معاينته للواقع الاجتماعي والسياسي والفكري وترجيعه إلى ماضيه المستعاد من طفولته، ونمط الحياة بين الحي العتيق

الذي ترعرع فيه وبين المدينة العصرية وأساليب حياة الناس وتفكيرهم. وتطورت كتابته عبر السنين ونجح في تكييف لغته لتتناسب مع أغراضه.

وفي ظل النقاش حول اللغة المستعملة في التأليف، تضمنت بعض روايات نجيب محفوظ على غرار « **قصر الشوق**» و«**السكرية**» توليفة محكمة الانسجام تعكس تبنيه موقفا وسطا في محاولة منه لحل هذه المسألة حيث استعمل اللغة الفصحى في السرد، بينما استعمل في أغلب الأحيان اللغة العامية في الحوارات منظما إياها بأسلوبه الخاص. وكان على نجيب محفوظ أن يختار سبيلا يسمح له بتحرير طاقته التعبيرية بين كل تلك العناصر اللغوية وتنوعاتها، وأن يكتب بلغة تتناسب مع ضرورة التعبير عن واقع المجتمع وخصوصيات تكوينه وشخصيته، وكذا ضرورة توصيل الرسالة إلى عامة المتعلمين أو المثقفين. (Ballard et El Kaladi, 2000, 202)

3- التعريف بالمترجم

كانت المعلومات التي تحصلنا عليها حول مترجم الرواية شحيحة، ومن أهم ما توصل إليه بحثنا حول الرجل أن **فيليب فيغرو Philippe VIGREUX** كاتب فرنسي متخصص في العالم العربي وعلوم الموسيقى والآلات الإيقاعية، حامل لشهادة الدكتوراه في الآداب بأطروحة ناقشها بجامعة باريس 10 – نانتير (قسم علم الأجناس وعلم الاجتماع المقارن) بتاريخ 14 نوفمبر 1997. تناول فيها بالدراسة آلة الإيقاع أو ما يّسمى بـ«**الدربوكة – Derbuka**».

وهو مترجم محترف تكفل بترجمة العديد من الروايات العربية إلى الفرنسية بالأخص روايات نجيب محفوظ، أحمد توفيق، إبراهيم الكوني، فضلا عن العديد من مؤلفات الأدب الكلاسيكي وكذا مقامات الهمذاني، ومؤخرا رواية «**لغة السر**» (2015) للروائية اللبنانية نجوى بركات، بعنوان « **La Langue du Secret** ».

4- ملخص الرواية

جاءت النسخة العربية من رواية « **قصر الشوق** » في ثلاث وثلاثين وأربعمائة صفحة. في حين، جاءت الترجمة بعنوان: «**Le Palais du Désir**» في واحدة وستمائة صفحة.

تعد رواية قصر الشوق الفصل الثاني من «**ثلاثية القاهرة**» للأديب المصري العالمي نجيب محفوظ، والتي يستكمل فيها محفوظ ما بدأه في رواية بين القصرين التي كانت ترصد فترة عشرينيات القرن الماضي في مصر تحت الاحتلال الإنجليزي. وقد انتهت رواية «**بين القصرين**» باستشهاد فهمي ابن السيد احمد عبد الجواد خلال المظاهرات المطالبة بجلاء الاحتلال الإنجليزي عن الأراضي المصرية سنة 1919، مما أحدث تغيرا كبيرا في حياة السيد أحمد حتى أصبح شخصا زاهدا لمتع الدنيا، وفي الرواية الثانية « **قصر الشوق** » ينتقل بنا محفوظ إلى مرحلة مختلفة في حياة أسرة السيد أحمد وأيضاً في مصر.

تجري أحداث الرواية بمدينة القاهرة فجر استقلال دولة مصر عن الاحتلال الإنجليزي، بقيت فيه مصر وهي لا تزال تحت تأثير هذا الاحتلال لفترة من الزمن تتردد بين التمسك بالهوية الأصلية وبين الانفتاح على العالم الغربي. وتروي قصة عائلة السيد أحمد عبد الجواد في منطقة الحسين خلال النصف الأول من القرن 20، ما بين 1917 و 1944، يلعب فيها رب البيت المتمثل في شخص السيد عبد الجواد، تاجر ميسور الحال، دور الزوج

والأب القوي، الصارم، المتسلط، العنيد، المهيمن والمحافظ على تعاليم القرآن. لكن، مـــا إن يسدل الليل ستاره حتى يتحول إلى إنسان غريب الأطوار، متناسيا تلك التعـــاليم، منصـــاع لشهواته ورغباته المكبوتة مع شلة من الأصدقاء، بعد أن امتنع عن ذلك لمدة 5 سنوات بعد وفاة ابنه فهمي.

وللسيد عبد الجواد ولدان، اختار الابن الأكبر (ياسين) ابن السيد عبد الجواد من أن يعيش لرغباته اليومية مثله مثل والده لكن خفية عن هذا الأخير. أما الثاني، فكـــان يـــرفض الانصياع لإرادة الأب، زاهدا في دينه سعيا وراء طلب العلم والمعرفة، كمال ويـــرفض أن يدخل كلية الحقوق مفضلا المعلمين لشغفه بالآداب والعلوم والفلسفة وحبـــه وأصـــدقاءه. ويتعرض كذلك لحياة نجلتي السيد أحمد وأزواجهم وعلاقتهم ببعض وزواج ياسين وانتقالـــه إلى بيته الذي ورثه من أمه في قصر الشوق وتنتهي أحداث القصة بوفاة سعد زغلول.

وتناولت الرواية موضوع المرأة في المجتمعات العربية الإسلامية وعلاقة الرجل بها، وقراءة بين السطور لمداخل هذه العلاقة ودقائقها. كما تضمنت وصفا للمجتمع المصري وهيمنة الرجل فيه، وتحليلا للجانب الإنساني للأبطال الثلاث من خلال علاقاتهم بعضهم ببعض. ويســـاير نجيب محفوظ في ظل الصراع بين الأجيال داخل عائلة أحمد عبد الجواد، تـــوالي أحـــداث حكاية هذه العائلة من كل جوانبها، في سعادتها وفي نكباتها، في سرائها وفي ضرائها، ضـــمّ فيها ذكرياته الخاصة، نشأته وخبراته.

لعل أكثر ما يجذب انتباه قارئ رواية « **قصر الشوق** » تلك الحوارات التي تُجسّـــد حضور شخصيات أحمد وابنيه ياسين وكمال من جهة، و طبيعة المواضيع التي تناولتها مـــن جهة ثانية.

بعد التعريف بالروائي الغني عن كل تعريف وبالمترجم تعريفا موجزا وإدراج ملخص عن الرواية والتعريف بشخصياتها، ننتقل رأسا إلى الدراسة النقدية التحليلية لبعض النمـــاذج المختارة حتى نخلص إلى رسم حوصلة الاستنتاجات والملاحظات المسجّلة للوقوف على أثـــر الأيديولوجية ومظاهرها في الترجمة، إجابة على الإشكالية التي شكّلت محور دراستنا.

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية النقدية للمدونة

تمهيد :

يُعتبر التحليل النقدي للخطاب وسيلة تسمح بمعاينة عملية إنتاج النصوص في سياق اجتماعي وثقافي معيّن ونقلها وفق استراتيجية ترجمية إلى سياق النص الهـــدف، وتُســـهم في رصد التباين الثقافي والاجتماعي بينهما. كما من شأن هذا المنهج أن يُساعد المترجم في فهم وتأويل معاني النص المصدر، ويُتيح للقارئ إدراك حقيقة العملية الترجمية لتتّضح لـــه خبايـــا العمل في هذا الميدان.

يندرج هذا البحث ضمن الأبحاث الموجهة إلى دراسة البعد الأيديولوجي للخطاب وكيفية تأويله في مختلف سياقات الاستعمال، حيث «عادة ما يطرح المحلّل الناقد للخطـــاب جملة من التساؤلات حول عوامل تشكُّل الخطاب بنماذجه ومستوياته المختلفـــة، خاصـــة المعجم والتركيب والبنية النصية للخطاب، وما إذا كانت تحمل قيما خاصة وتُحيل إلى أطر تصنيفية أو تثير تحفظات أيديولوجية معينة.» (فيركلاف، ذكر في الزليطني، المرجع السابق: 14). وفي هذا المجال الذي نخصصه للعمل التطبيقي في هذه الدراسة، سنعمل على كشـــف توجهات ومواقف المترجم والمتدخلين وفقا للأهداف التي يرمون إليها من عملية الترجمـــة، وذلك عبر دراسة تحليلية **للاختيارات المعجمية** (**Les choix lexicaux**) من خلال نمـــاذج

المفردات المنتقاة من رواية «**قصر الشوق**» ومكافئاتها المختارة في الترجمة : «**Le Palais du Désir**».

لإنجاز العمل التحليلي، اعتمدنا المقاربة التاريخية للخطاب من منهج التحليل النقدي للخطاب للنظر بالأخص في البُنى النصية والتفاعلات الخطابية والأنساق الاجتماعية في سياق تاريخي اجتماعي. ويجدر بنا التذكير أن عملية التحليل النقدي تتم وفقا للمبادئ العامة لمنهج التحليل النقدي للخطاب المشتركة التي عرضها فيركلاف (**Fairclough**) عبر عملية معاينة **النص والتفاعل وأخيرا السياق الاجتماعي** بصفتها العناصر الثلاث المكونة للخطاب، وتُقابل هذه العملية **ثلاث مراحل** هي: **وصف النص، تأويل العلاقة بين النص والتفاعل، وأخيرا شرح العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي**، بينما تتم وفقا للمقاربة التاريخية للخطاب باستعمال الأساليب اللسانية التي ذكرها محمد يطاوي (2018a)، بالأخص:

* الألفاظ ودلالاتها القديمة والجديدة.

* التحليل الوظيفي النسقي للسياق.

* النعوت والمركبات الوصفية.

* الاقتضاء والإحالة.

* المبالغة (في حالات التضخيم)، الحذف (في حالات الحجب)، تحليل الصور البلاغية (في

حالات التلطيف)، التورية (في حالات التضليل والتلاعب والتبخيس)، الإيجاز (في حالات نفي القيمة) والإطناب (في حالات التعظيم والتبجيل).

ونستخلص من هذه الأساليب ثلاث إجراءات يرتكز عليها عملنا، تصب في عملية توجيـــه الترجمة وهي:

- **التحريف والتشويه** (**Déformation et altération**)،

- **الحذف** (**Suppression**)

- وأخيرا **الإضافة** (**Adjonction**).

1- دراسة النماذج

تلبية لأهداف هذه الدراسة، سنركز عملنا على أساس المقاربة التاريخية للخطاب ضمن منهج التحليل النقدي للخطاب لتحرّي ثلاث إجراءات تُستعمل لتوجيه الترجمة، لمسناها من خلال النماذج المختارة من الرواية للوقوف على مدى التكافئ أو التباعد بين المعنى في النص الأصل والمعاني التي أراد صاحب النص تبليغها عبر خياراته والربط بينها وبين الإطار السوسيو- ثقافي لرفع اللثام عن الدوافع والمرجعيات التي كانت وراء خيارات المترجم.

1.1- التحريف والتشويه – Déformation et altération:

وهو إجراء شائع استعماله بين المترجمين، يتصل باختيار المفردات ذات الشحنة الدلالية المحملة أيديولوجيا، ويتعلق الأمر بالصنف الأول من أصناف المفردات الثلاث التي ناقشها **نورمان فيركلاف** (1989) وهي المفردات ذات **القيمة الخبراتية** (**Experiential value**):

> A formal feature with experiential value is a trace of and a cue to the way the in which the text producers experience of the natural or world is represented. Experiential value is to do with contents knowledge and beliefs. … The aspect of experiential value .. is how ideological differences between texts in their representations of the world are coded in their vocabulary. (p. 112-113)

ويتعلق الأمر « بالمفردات ذات الأثر الذي يُحيل إلى الكيفية التي يقوم وفقها منتج النص بتمثيل خبراته المستوحاة من محيطه الطبيعي أو الاجتماعي. وأن القيمة الخبراتية للمفردات تكمن في المحتويات والمعارف والمعتقدات.. وتأتي مظاهر المفردات ذات القيمة الخبراتية لتحديد الكيفية التي يُشفّر بها الاختلاف الأيديولوجي بين النصوص العالم عبر المفردات » (ترجمتنا).

سنسرد فيما يلي بعض النماذج المختارة نعرض من خلال تحليلها حقيقة لجوء المترجم لهذا الإجراء وخلفية اختياراته مع إدراج الشرح الضروري.

النموذج 01 :

قصر الشوق :
« وكان السيد أحمد قد فرغ من الصلاة، فعلا صوته الغليظ بالدعاء المعتاد للأولاد ولنفسه سائلا الله الهداية والستر في الدارين، وفي أثناء ذلك كانت أمينة تُعد المائدة، ثم ذهبـــت إلى حجرة السيد فدعته – **بصوتها الوديع** – إلى تناول الفطور ... ». (ص 22)
Le Palais du Désir :
« …Ahmed Abd el Gawad avait terminé sa prière et sa voie profonde s'élève au moment de prononcer les vœux habituels pour ses enfants et pour lui-même, implorant Dieu de guider son chemin et de lui accorder sa protection sur cette terre et dans l'au-dellà. Pendant ce temps, Amina préparait la table matinale. Quand elle en eut terminé, elle monta à la chambre de Monsieur, le pria **de sa voix effacée**- de venir prendre le petit déjeuner,… » (p, 41)

يتمثل النموذج المختار من نص الرواية الذي نعرضه على القارئ في شـــبه الجملـــة **بصوتها الوديع** » وتقديرها حال، وجاء في سياق مشهد صباحي بمترل السيد أحمد، بينمـــا كان ولداه في حجرتهما يستعدان للخروج، كان هو يؤدي صلاته ويدعو بصـــوته الغلـــيظ دعاءه المعتاد، وكانت السيدة أمينة قد حضّرت الفطور ثم ذهبت إلى زوجهـــا تـــدعوه إلى المائدة **بصوت وديع**، أي بصوت هادئ يُثير الطاقة الإيجابية عند السماع إليه، وهو يتميـــز بنعومة متصلة بطبيعة صوت النساء ودليل على الطيبة. ويقابلـــه في الفرنســـية : **sa voix douce**

وعند النظر في الترجمة، نرى أن المترجم قد اختار المكافئ التالي: **voix effacée**، للدلالة على الصوت الخافت الذي لا يكاد يُسمع بسبب الخضوع أو الخوف أو المرض العضوي أو النفسي. وهي ترجمة لم نلمس فيها أي بعد جمالي أو إبداعي متصل بإنتاج الأدب.

نحن في هذا المقام لا نحكم على جودة أو رداءة الترجمة، بل ننظر في الخلفية التي كانت وراء الاختيار. والحال، لا يخفى عن القارئ أن من المواضيع التي تناولتها الرواية موضوع المرأة في المجتمعات العربية الإسلامية، مكانتها وعلاقتها بالرجل. ربما كان الغرض من هذا الاختيار ربط الصفة التي تلازمت مع حياة ومكانة المرأة في المجتمعات العربية الإسلامية، لتوحي عدم جرأة أو قدرة المرأة على رفع صوتها أمام زوجها حتى لتدعوه إلى تناول الفطور لأنها لا تستطيع ذلك تحت سلطة وجبروت زوجها. قد يكون التشويه الذي لحق المعنى له مرجعية أيديولوجية الهدف منه عرض الصور النمطية التي رسمتها المجتمعات الغربية عن المرأة وتثبيتها لدى القارئ.

هذا نموذج أول لا يُثبت الظاهرة ما لم تتكرّر، ذلك ما سنحاول التأكد منه في النماذج الموالية.

النموذج 02 :

قصر الشوق :
« وعَدّ معرفته لمعبودته رقية سحرية تنسبه، و لو من بعيد، إلى **منزل الوحي** ومبعث السنا ». (ص 24)
Le Palais du Désir :
« …considérant le fait qu'il ait connu le grand père de son Aida bénie comme un prodige qui le rattachait lui-même – ne fut – ce que de loin – à **la terre des poètes**, berceau des Lumières,… » (p, 43)

جاء سياق التركيب اللغوي غداة الحوار الذي دار بين الأب السيد عبد الجواد وولديه ياسين وكمال حول صينية الأكل، وطلب الابن الأصغر كمال من أمه التوسط لدى الأب من أجل زيادة مصروفه كي يتسنى له مجاراة أصدقائه من طبقة الأكابر، وقد فوجئ الابن في اليوم الموالي على طاولة الإفطار بسؤال والده عن هوية أصدقائه وإخباره بمعرفته السيد عبد الحميد والد صديقه حسين (ومعبودته) وجدهما السيد شداد، الشيء الذي جعله يشعر بإجلال وإكبار نحو أبيه، حيث أهاجه الحديث عن والد معبودته وجعله يسترسل الحديث بهذه الجملة.

إن أول ما يُثير انتباهنا في هذا النموذج هو مقابلة عبارة «**منزل الوحي**» في لغة الانطلاق بالمكافئ الذي اختاره المترجم في لغة الوصول: «**terre des poètes**» ومعناها **أرض الشعراء**. وعند التمعُن في عبارة « **منزل الوحي**» سنجد أنها تُحيل إلى أرض نزول

الوحي، فإذا كان قد اختار مكافئا صحيحا لكلمة "**منزل** – **Terre** " فما محـــل مفـــردة "**الشعراء**" من العبارة وسياقها علما أن دلالة "**الوحي**" مشتركة بين الديانات الســـماوية، ومعناها واضح يُحيل إلى كلمة «**La Révélation**». لقد أردنا من خلال هذا النمـــوذج أن نجلب انتباه القارئ إلى حجم التباعد بين معنى الكلمة في النص الأصل والمعنى في النص الهدف، فلماذا هذا التباين وما مصدره؟ قد يكون التشويه الذي لحق المعنى لـــه مرجعيـــة أيديولوجية متأصلة في ثقافة وديانة المترجم رغب في ظهورها لأنها تعكـــس قناعتـــه وأراد تثبيتها لدى القارئ، فالربط بين الوحي (القرآن) والشعر والشعراء له خلفية دينية متجذرة تصف الوحي (القرآن) شعرا والرسول محمدا شاعرا. كما يبدو أن العمليـــة لا تحمـــل مظاهر إبداعية تُبرّر الإجراء. قد يكون الاختيار إذا تعبيرا عن مواقف المتـــرجم وتجســـيدا لقناعته وترسيخا لمعتقدات المتلقي، يُضاف إلى طبيعة الاختيار في النمـــوذج الأول يجعلنـــا نتطلع إلى تأكيد هذا السلوك الترجمي، والتدرج في إثبات تورط الأيديولوجيـــة في هـــذه الاختيارات.

النموذج 03 :

قصر الشوق :
« و هي تضحك ضحكة خافتة : يا بخت من وفّق رأسين في **الحلال** ! وفي **الحرام**؟» ! (ص 67-66)
Le Palais du Désir
«… Bienheureux qui peut réconcilier deux âmes dans **le bien** ! dit- elle dans une rime étouffée. Et dans **le mal** alors ?! » (p 105)

جاء سياق الكلام في حوار دار بين ياسين وجارته مريم، حيث كان الأول يتـــودد إليها للفوز بقلبها إلا أنها أرادت أن تُذكره بطليقته وتعرض عليه فكرة ردها إكراما لابنـــه رضوان، ثم أرادت وفقا لسياق الجملة الإفصاح عن فضيلة إصلاح ذات البين في الحـــلال، لكنه قابل ذلك بسياق الحرام، مصارحا إياها بعدم رغبته في النظر إلى الوراء.

ونلاحظ في هذا النموذج ترجمة ثنائية "**الحلال**" و "**الحرام**" بمكافئين همـــا **le bien** و **le mal**، يحمل الأول معنى "**الخير le bien**" والثاني معنى "**الشر le mal**" وهما لا يتصلان البتة بمعنى المفردتين ليس لأن المترجم قد غاب عنه معنى الحلال والحرام، بل لأن الســـياق الذي جاءت فيه المفردتين سياق إيجابي في ثقافة النص الأصل أراد المترجم حجبه عن القارئ لدواع قد تكون أيديولوجية دينية دفعته ربما إلى **تذليل إيجابيات الغير** ضـــمن اســـترتيجية

الخطاب الأيديولوجي، حيث نجد معنى المفردتين في هذا النموذج يُحيل إلى ما هو شـــرعي وغير شرعي، علما أن مفهوم الحلال والحرام مشترك بين الثقافتين ويقابلـــهما بالفرنســـية المفردتين: **Le Licite et L'illicite – Le légitime et L'illégitime**

في حين نجد المترجم قد حافظ في اللغة الفرنسية على المعنى المكـــافئ للمفـــردتين في النموذج التالي الذي جاء في سياق الحوار الذي دار بين السيد عبد الجواد وخليلته التي سألته إن كان يفقه في قراءة الكف شيئا، فأجابها أنه من المشهود لهم في قراءته، ففعل ذلك وقال:

قصر الشوق :
« في طريقك رجل سيكون له شأن في حياتك ..
- في **الحلال** يا ترى؟ .....
- بل في **الحرام !** » (ص 110)
Le Palais du Désir :
- « Je vois sur ta route .. un homme qui aura une grande importance dans ta vie..
- Dans une union **légitime** au moins …
- Non ! **Illégitime** » (p.164)

ما تفسير هذا التصرف وما مصدره ؟

يُلاحظ القارئ أن المترجم قد امتنع عن إدراج المعنى الصحيح للمفردتين في النموذج الأول **لتذليل إيجابيات الغير** (سياق إيجابي في ثقافة النص الأصل)، ونزع في النموذج الثـــاني إلى ترجمة المفردتين ترجمة سليمة رغبة منه في **إبراز سلبيات الغير** (سياق سلبي في ثقافة الـــنص الأصل) ضمن استراتيجية الخطاب الأيديولوجي.

النموذج 04 :

قصر الشوق :
« لو كان لمريم مثل هذا الجسد ! **ألا في مثله فليتنافس المتنافسون** » (ص 130)
Le Palais du Désir :
«Ah ! Si Maryam pouvait avoir un tel corps ! Assurément, **c'est tout ce à quoi tendent ceux qui aspirent au bonheur** [1]» (p 192) Mention de bas de page : Coran.

جاء سياق التركيبة اللغوية في غمرة الحوار بين والدة مريم وياسين حين طلب هـــذا الأخير يد ابنتها، وتبادلا الكلام حول سوء الفهم الذي حدث سابقا بين العائلتين وتفاصيل الزواج، لكنه وجد نفسه، رغما عنه، يسترق النظر إلى جسد حماته، وتمنى لو كان عثر على مثله في إحدى مغامراته أو كان لخطيبته مريم مثل هذا الجسد، ثم جاء التركيب اللغوي محل التحليل.

من أهم ما يجلب انتباهنا في هذا النموذج هو التعبير الذي اقتبسه الكاتب من القرآن الكريم وأدرجه في مؤلفه دون إشارة إلى الاقتباس أو مصدره، بينما **أشار المترجم بواســطة إحالة أسفل الصفحة إلى أن العبارة من القرآن الكريم. ومن الخطورة بمكان حسب رأينا أن يُنسب الكلام إلى الكتب المُقدّسة لتحقيق غرض مُعيّن.** إن الاقتباس وفقا للجملة « **ألا في مثله فليتنافس المتنافسون**» لا يتطابق مع الآية القرآنيـــة : « **وَفِـــي ذَٰلِـــكَ فَلْيَتَنَـــافَسِ**

الْمُتَنَافِسُونَ» (الآية 26 من سورة المطففين). حيث أن مكمن الاختلاف يوجد في بداية الجملة بالتحديد في قول الكاتب (ألا في مثله)، بينما ورد في بداية الآية الكريمة: (**وَفِي ذَٰلِكَ**)، **وهو الاختلاف بين الآية والاقتباس الذي لا يُمكن أن يغيب عن المترجم.**

ثم وجب علينا النظر في المعنى الذي جاء في النص الأصل والمكافئ الذي عرضه صاحب الترجمة والمقارنة بينهما. وحيث كان القصد الذي ابتغاه صاحب الرواية من وراء الجملة هو: على المتطلعين للفوز بهذا الجسد أن يتنافسوا فيما بينهم للظفر به، وهو لم يُشر إلى أن الكلام من كلام الله (القرآن). بينما تضمنت الترجمة التي نسبها المترجم للقرآن:

«**c'est tout ce à quoi tendent ceux qui aspirent au bonheur** »

بمعنى : «ذلك ما يجب أن يسعي إليه كل من يبتغي السعادة»، ونسب هذا الكلام إلى القرآن. وفي إشارته إلى أن الكلام من القرآن، فهذا يُعد معنى عكسي **un contre sens** لأنه يتعارض مع معنى نص الآية. لأن سياق الآية جاء للتعبير عن التنافس في فعل الخير، بينما جاء المعنى الذي نقله المترجم للقارئ يُحيل إلى أن القرآن يدعو إلى نيل السعادة في الرذيلة.

إننا نجد في عمل المترجم محاولة لاستغلال السياق الذي ورد فيه الاقتباس (سياق المجون) موهما القارئ أن القرآن يدعو إلى الرذيلة، ومحاولا تثبيت الصورة النمطية التي رسمها الغرب عن الإنسان العربي المسلم، بحيث « عادة ما يتم نقل الثقافة العربية والإسلام إلى تقاليد الغرب في زمن وصورة ضمن عملية سردية وخطاب خاص بالغرب متشبع بالأفكار

النمطية الجاهزة والكليشيهات» (Said Faiq, 2004, p. 9). أو أنه أراد من خلاله استمالة القارئ الذي يملك أفكارا مسبقة عن الإنسان العربي المسلم ولا يُريد أن يُعارضها حتى يُكتب النجاح لترجمته حين يستجيب لتطلعات هذا القارئ.

كما لا يفوتنا في هذا المقام التنويه بعدم الاعتماد على المنهج نفسه في ترجمة الاقتباس الذي ورد في الصفحة 96 : « **إن بعد العسر يسرا** » وهو مطابق للآية الخامسة من سورة الشرح التطابق التام لكن لم يُكلّف المترجم نفسه عناء إدراج إحالة تُشير إلى المصدر الذي اقتبست منه الجملة (أي القرآن)، ربما لعدم ورودها في سياق سلبي يُفيد الأغراض نفسها، مفضّلا تكييف الآية مع ثقافته مستعملا في الصفحة 145 مكافئا يتمثل في قول مأثور جاهز في اللغة الفرنسية وهو : «**Aprés la pluie vient le beau temps**» ، ونحن لا نعيب عنه ذلك، لكن اكتشفنا تباينا في تعامل المترجم في استغلال الاقتباس اللغوي، فإذا جاء في سياق سلبي نسبه إلى القرآن بالرغم من أن المعنى لا يتطابق مع معنى الآية بهدف تذليل الإيجابيات وإبراز السلبيات وفقا لاستراتيجة الخطاب الأيديولوجي، وإذا جاء في سياق آخر لا ينسبه إلى القرآن ولو كان منه.

النموذج 05 :

قصر الشوق	Le Palais du Désir
« وبدا على الأم أنها تُغالـــب **حياءهـــا**، لتقول كلمة تجمع بين الشكر لإبـــراهيم وإرضاء خديجة» (ص31)	« Amina semblait essayer de vaincre **sa confusion**, elle aurait voulu adresser un mot de remerciement à Ibrahim propre à satisfaire au même temps Khadiga» (p 86)
« تورد وجه كمال **حياء** وألمـــا وهـــو يستمع إلى رأي أبيه في المعارف والقـــيم السامية التي يُقدمها» (ص 55)	« Kamal devint rouge de **confusion** et de douleur en entendant son père juger les connaissances et les valeurs qu'il révérait » (p 89)
« ... تورّد وجه أمينة **حياء** وسرورا ... » (ص 43)	«...**la confusion** en même temps que la joie empourprèrent le visage d'Amina...» (p. 72)
« ... فنهض كمـــال في أدب و**حيـــاء** وانصرف...» (ص 59)	« Kamal se leva alors avec politesse et **retenue** et s'en alla...» (p. 96)
« فقال فؤاد وهو يغض البصر **حيـــاء** ثم متسائلا كأنه يُداري **حياءه**» (ص59)	«...répondit Fouad baissant les yeux **honteux et gêné** puis comme masquer sa **confusion** ...» (p. 120)

ونلاحظ في هذا النموذج الذي تضمن خمس أمثلة تخص مفردة "**حياء**"، أن المترجم قد أسند إليها في أربع مناسبات المكافئ **confusion** وهي كلمة تحمل معـــنى الارتبـــاك أو الاضطراب أو الحيرة أو الخبل، وكل منها لا يُنصف المعنى المقصود في الـــنص الأصـــل أي

الحِشمة والاحتشام والخجل، ويُقابله في الفرنسية **La pudeur**. ونجده قد لجـــأ في مناســـبة واحدة إلى إسناد المكافئ **retenue** بمعنى التحفظ والاعتدال.

أما في المثال الموالي، فنجد أن المترجم قد اختار في ترجمته المكافئ الأنسب للكلمـــة **La pudeur** لما تلازمت مع الإفزاع والمرض.

قصر الشوق :
« من حسن حظي أنك لست من المصابات بداء **الحشمة**» (ص 62)
Le Palais du Désir :
« Heureusement pour moi tu ne fais partie de ces effarouchées qui ont la maladie de la **pudeur**» (p. 100)

لقد دفعنا الأمر للتساؤل حول طريقة تعامل المترجم مع مفردة "**الحياء**" بالرغم مـــن أنه قد تبيّن أنه قد استعمل المكافئ المناسب للمعنى السياقي في الصفحة رقم 100، ما يعني أن هذا المكافئ متوفر لديه و كان بإمكانه استعماله في الصفحات الســـابقة علـــى غـــرار الصفحات 72، 86 و 89. وقد تصرّف إزاءها بطريقتين : الأولى عندما اختـــار كلمـــة **pudeur** مكافئا طبيعيا للحشمة (المثال الأخير) أين وردت في سياق سلبي زادته سلبية أكثر الصفة **effarouchées** بمعنى الإفزاع والتنفير وكلمة **Maladie** أي المرض، والثانية عنـــدما اختار مكافئا مخالفا للمعنى الصحيح للمفردة الذي يتمثل في كلمـــة **confusion** حينمـــا

جاءت، عكس الأمثلة الأخرى، في سياق إيجابي تحمل في ثناياها صفة حميدة. والمعروف أن الحياء سجية من سجايا الإسلام خُصّ أهل ذلك الدين بها وهي مظهر من مظاهر الإيمان عند المسلمين، حيث ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله قـــال: « الإيمـــان بضْـــع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلهَا قول لا إله إلا الله وأدناها إِماطَة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمانِ.». حيث الغالب على أهل الإسلام الحياء لأنه مُتمم لمكارم الأخلاق التي بعث الرسول الكريم لأجلها. قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلّم: « إِن لكل دين خُلقا وخُلق الإسلام الحَياءُ»، وقال أيضا : «الحياء من الإيمان»، و أيضا : « إذا لم تستح فافعل ما شئت».

فهل أراد المترجم الاستغناء عن معنى الكلمة الحقيقي في النص الهدف؟ ولماذا؟

قد يكون ذلك إمّا بغرض إغفال هذه الصفة الحميدة المتصلة بمكارم الأخـــلاق الســـائدة في مجتمعات المسلمين، وإمّا حجبها عن القارئ لانعدام مرجعية لها في ديانة المترجم والقـــارئ المتلقي، الشيء الذي يُفسّر امتناع المترجم عن إدراج المعنى الصـــحيح للمفـــردة **لتـــذليل إيجابيات الغير** (سياق إيجابي في ثقافة النص الأصل)، ونزوعه في مواطن أخرى إلى ترجمـــة المفردة ترجمة سليمة رغبة منه في **إبراز سلبيات الغير** (سياق سلبي في ثقافة النص الأصـــل) ضمن استراتيجية الخطاب الأيديولوجي. وبإمكان القارئ أن يُلاحظ تكرّر العملية في عـــدة مواطن الشيء الذي جعلنا نشك في نوايا المترجم والهدف من الترجمة وبروز أيديولوجيته في العمل المنجز.

النموذج 06 :

قصر الشوق :
«فقالت أمينة ممتنة لتوددده : ياسين رجل طيب و الرجل الطيب لا يمتنع عن الـــزواج إلا مضطرا، الحق آن لك أن تُفكّر في استكمال **دِينك** .. » (ص 48)
Le Palais du Désir :
« Et c'est contre son gré qu'un brave garçon se prive du mariage ! Maintenant tu as le droit de songer à récupérer **ton dû** ! » (p 79)

جاء هذا النموذج في سياق حديث عائلة عبد الجواد عن موضوع الـــزواج وحـــث السيدة أمينة ابنها على استكمال دينه بعدما بلغ من العمر ثمان وعشرين سنة، كما كانـــت أخته تحث على ذلك لكنه كان يُبدي عدم اهتمامه بالأمر متحججا بالأعوام التي تَمُرُّ وتُنسي الإنسان رغائبه.

لجأ المترجم في هذا النموذج إلى اللعب بمعاني الكلمات، إذ تُحيل كلمـــة "**الـــدِين**" بكسر الدال إلى معنى **La religion – La foi** وهو معنى المفردة الثابت من خلال الســـياق، وهو كذلك دلالة على أن الزواج نصف الدِين في الإسلام، وهو المعنى الوارد في سياق النص الأصل والمتعارف عليه لدى المجتمعات الإسلامية. بينما قرأ المترجم المفردة قراءة مختلفـــة أي "الدَيْن" بفتح الدال ومعناه **Le dû** أو بالأحرى أنه أوّلها تأويلا آخر حـــتى ينـــدثر المعـــنى الحقيقي للمفردة ويستبعده، فأصبح المعنى غير الذي قصده صاحب النص الأصل. فإذا كان

الانزياح بدون وعي منه، يُمكننا رد ذلك إلى أيديولوجية المترجم التي لا تسع هذا المفهوم الديني. وإذا كان الانزياح بوعي منه، كان الهدف على الأغلب التضليل والتلاعب بالألفاظ ونفي القيمة قصد إغفال كل ما له صلة بالدين الإسلامي عن النص الهدف حتى لا تظهر محاسنه، وحجبه عن القارئ المتلقي تجسيدا لقناعاته ومواقفه أو ربما خضوعا لشروط دار النشر. ومثله في ذلك مثل مترجم القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية رجيس بلاشير **Régis Blachère** في الآية 69 من سورة النساء:«ومَنْ يُطِعِ اللَّه والرَّسُول فأولَئك مع الَّذِين أَنْعم اللَّهُ عليْهم منَ النبيين وَالصِّدِّيقِين **والشُّهَدَاء** والصَّالِحين، وَحَسُن أولَئِك رفِيقا » حيث اختار لكلمة **"الشهداء"** ومفرده **"الشهيد"** بمعنى مَن قُتل في سبيل الله، مكافئا يتمثل في مفردة « **témoins** » ومرادفها **"شهود"** مفردها **"شاهد"**في اللغة العربية. فبدلا من « **Martyr** » أي **الشهيد** أصبح المعنى يحيل إلى شيء آخر هو **"الشاهد"**. فهناك كذلك خطأ يجعلنا نتساءل إن كان مصدره جهل صاحب الترجمة بمعنى الكلمة واختلاط الأمر عليه أم أن تأويله كان لغاية في نفسه تنزع إلى نفي القيمة أو التضليل والتلاعب. (أنظر مجلة معالم، 2018، ص 164)

النموذج 07 :

قصر الشوق :
«قال فؤاد في شيء من الحسرة: - انقطعت علاقتي بنرجس منذ مُنعت من اللعب في الحارة! فسأله كمال باهتمام : - ألم تكن وأنت المؤمن تتعذب بتلك العلاقة ؟ فقال فؤاد وهو يغض البصر حياء : - هناك أمور **ما منها بد** ..» (ص77)
Le Palais du Désir :
«Il y a des choses **qui sont plus forts que nous** » (p 119)

جاء سياق التركيبة اللغوية في سياق الحوار بين كمال وصديقه فؤاد حول علاقة هذا الأخير بنرجس وصراعه بين الشهوة والقلق والضمير، يمضي مغلوبا على أمره بشـــهواته ثم يعود بالعذاب مستغفرا، ثم يرد على سؤال صديقه كمال بأن علاقته بنرجس قد انقطعـــت ويرفض انتهاز الفرصة لوجه الدين فقط.

ويتكرّر الأمر كذلك في هذا النموذج، إذ نجد التغيير الذي مسّ عبارة **ما منها بـــد** التي تحمل دلالة نفي الفعل ونكرانه استنادا إلى المرجعية الدينية الإسلامية والـــتي تتعلـــق في سياق النص الأصل بالعلاقات خارج إطار الزواج. بينما أخذ المترجم توجها واقعيا معاكسا

يُبيح به هذه الأفعال لأنها أقوى من إرادة البشر. فأدرج المكافئ **qui sont plus forts que nous** بدلا من المكافئ الطبيعي للعبارة حسب معناها الأصلي، فكان من الممكن أن يقول على سبيل المثـــال: **Il y a des choses qui ne se font pas**، أو أن يقـــول: **Il y a des choses qu'on ne peut se permettre**، لكن بالنظر إلى التباين في الفكر والمعتقـــد، أراد أن يُغيّر المعنى بما يُخالف معتقدات وأخلاق المجتمع الذي نشأ فيه النص الأصل المستمدة من الدين الإسلامي التي تأمرهم بالعفة، موجها انتباه القارئ إلى أن هذه الأشياء هي أقوى مـــن أن نستطيع مقاومتها أو أن نتحكم فيها. حيث نزع المترجم إلى تكييف بعض المفاهيم راميا إلى **تذليل إيجابيات الغير** (سياق إيجابي في ثقافة النص الأصل).

النموذج 08 :

قصر الشوق :
« ... متى تسطع **هداية الله** فتملأ الأرض حتى يُبهر نورها الأعين.» (ص 11)
Le Palais du Désir :
« …Quand brillerait **la Voie de Dieu** jusqu'à recouvrir la terre entière et éblouir les yeux de sa lumière…» (p.24)

جاء هذا النموذج في سياق الحديث بين السيد عبد الجواد وزوجته حول موضـــوع خِطبة زينب بنت صديقه بينما كانت الأم تريدها لابنهما ياسين. وحين ما كان يود الخلود إلى النوم، لم يخل رأسه من التفكير في ابنه ياسين لما علم عنه من تصرفات، فتمنى له التغـــيير والهداية.

سيلاحظ المتأمل في هذا النموذج أن المترجم قد اســـتعمل عبـــارة « **la Voie de Dieu**» باستعمال الحرف الكبير «**V – D" majuscule** » وهي عبارة مقتبسة من الإنجيـــل ومألوفة في الديانة المسيحية لها سياقها الخاص المتصل بوحي الرب (أنظر عبارة «**Les voies du Seigneur sont impénétrables**. غير أن معنى عبارة "هداية الله" تعـــني الإرشـــاد الإلهي إلى الطريق السوّي، ويكافئها في اللغة الفرنســـية : **l'orientation vers le droit chemin**.

ونود الإشارة إلى أن صاحب الترجمة لم يكترث للمعنى الحقيقي للعبارة بقدر ما كان يبحث باختياره عبارة تعرض معتقداته وتروق للمتلقي عن تغيير مرجعية المكافئ الثقافية والدينية لعدم الرغبة في ظهورها في النص الهدف، وهي حسب جدعون توري من بين المعايير التي يتحدد وفقها نوع المكافئ، إذ غالبا ما تتأثر الترجمة بالثقافة المنقول إليها وتأخذ زخرفها تسهيلا لعملية تلقي النصوص المترجمة وتفاديا لمعارضتها.

في حين، ظهر المترجم أكثر أمانة لمعنى العبارة نفسها في موضع آخر جاء في سياق فراغ السيد أحمد من الصلاة صباحا داعيا بصوت عال دعاءه المعتاد للأولاد ولنفسه.

قصر الشوق :
« سائلا **الله الهداية** والستر في الدارين» (ص 22) (ص 11)
Le Palais du Désir :
« … **Implorant Dieu de guider son chemin** et de lui accorder sa protection sur cette terre et dans l'au-delà … ». (p 41)

ويُمكن للقارئ أن يلاحظ أن المترجم قد استعمل في النموذج الأول تركيبة لغوية دفعته أيديولوجيته إلى استعمالها بدلا من المكافئ الذي توفره اللغة الفرنسية رغبة منه في إضفاء بيئة جديدة على النص بتكييفها مع التعابير السائدة في ثقافة المترجم والمتلقي، الشيء الذي يجعل القارئ يتساءل عن الهدف المرجُو من العملية (النص الهدف) والترجمة.

النموذج 09 :

قصر الشوق :
« ... و قبيل **العصر** غادر السيد ...» (ص 30)
Le Palais du Désir :
«... peu avant **la fin de l'après midi**, Ahmed Abdelgawad quitte ... » (p.53)

جاء التركيب في سياق جلوس السيد عبد الجواد مع أحفاده وتأمله فيهم، جعله يسترجع ذكريات أولاده صغارا ياسين وخديجة وفهمي وعائشة وكمال ثم همّ بمغادرة البيت نحو الدكان قبل وقت العصر.

نجد في هذا النموذج أن الترجمة قد تضمنت عبارة «**la fin de l'après midi**» مكافئا لكلمة « **عصر** » حيث اختُزل المعنى في الدلالة الزمنية دون الدلالة الدينية لتَلازم هذا الزمن بصلاة العصر. ربما كانت متطلبات التواصل والحوار بين الثقافات جديرة بأن تدفع المترجم إلى نحل أو نسخ كلمة « **عصر** » بجميع مكوناتها المادية والصوتية إلى اللغة الفرنسية وكتابتها على الشكل التالي :« **Al Asr** » حتى تحتفظ بشحنتها الدلالية الدينية أولا والزمنية ثانيا، ثم شرحها عن طريق التهميش، لكنه امتنع عن ذلك رُبما بسبب البعد الديني الذي تحمله بالرغم من استعماله لتقنية النحل في كثير من المواقع مع مفردات تتصل بالجانب الثقافي.

لعلنا نجد مرجعية أيديولوجية المترجم وراء تعامله مع المفردات ذات البعد الديني إمّا بإغفال بعدها الديني أو تكييفها مع النماذج السائدة في اللغة الهدف دون غيرها من المفردات التي تحمل مميزات الثقافة التي نشأ فيها النص الأصل على غرار كلمات "ملوخية- مشربية – جُبة – طربوش" وغيرها.

غير أننا نجده قد استعمل على غير عادته تقنية النحل مع مفردة تتصل بالجانب الديني الشيء الذي يجعلنا نتساءل عن سبب استخدامه لهذه التقنية في النموذج الذي جاء في سياق الحوار بين والدة مريم وياسين والذي سبق ذكره في النموذج رقم 03 :

قصر الشوق :
« فبادر إلى رفع عينيه إلى **البسملة** [...] متظاهرا بالاستغراق في تفحصها» (ص129)
Le Palais du Désir :
«Aussitôt, il s'empressa de lever les yeux vers la **Basmala** faisant mine d'être absorbé dans cette contemplation » (p 191)

للإجابة عن السؤال الذي سيُفيد القارئ فهم سبب استخدام تقنية النحل في هـــذا الموضع، نود القول أن المترجم لم يلجأ إلى حذف كلمة << **البســـملة** >> أو ترجمتـــها حسب معناها أو بمكافئها في اللغة الهدف، بل نسخها على غير عادتـــه في التعامـــل مـــع المفردات المتصلة بالجانب الديني وحافظ على مكوناتها حتى الصوتية **لورودها في سياق سلبي** تضمن الحوار بين والدة مريم وياسين الذي وجد نفسه، رغما عنه، يسترق النظر إلى جسد حماته. حيث يندرج هذا الإجراء ضمن استراتيجية الخطاب الأيديولوجي **لإبراز ســـلبيات الغير** (سياق سلبي في ثقافة النص الأصل).

النموذج 10 :

Le Palais du Désir	قصر الشوق
«que **Dieu** prenne les morts dans sa miséricorde » (p. 20)	«... رحم **الله** الراحلين...» (ص 08)
« En **Dieu** est la guérison » (p18)	«... عند **الله** الشفاء...» (ص 07)
« Que **Dieu** t'ouvre les portes du paradis » (p 26)	«... جعل **الله** مثواك...» (ص 13)
«Il peut louer le **Seigneur** » (p 23)	« فليحمد **الله** على أية حال» (ص 06)
« **Seigneur**, mes nerfs vont lâcher» (p 90)	« **اللهم** طولك يا روح» (ص 55)
« Au nom du **Ciel**, on aura tout vu » (p 90)	«يا سبحان **الله** عشنا و شفنا وسمعنـــا» (ص 55)

إن أكثر ما يجلب الانتباه في هذه الأمثلة مجتمعة، لجوء المترجم في كل مرّة يصـــادف فيها اسم الجلالة "**الله**" **Allah** المرتبط ارتباطا وثيقا بحياة المسلمين وثقافتهم، إلا ولجـــأ إلى تغييره مستعملا العديد من المرادفات مثل **Dieu** – **Seigneur** - **Ciel** .

ويعد اللجوء إلى المرادفات أو كما يسمّيه فيركلاف « **overwording** » بمعـــنى كثافة أو تكرار المفردات باعتبارها وسيلة للتعبير عن الواقع بعدد من المفردات ذات المعـــنى المتقارب والتي تُفصح عن مدى الاهتمام بجانب من جوانب الواقع الذي قد يحمل إشارة إلى محور الصراع الأيديولوجي. (Fairclough, 1998, p. 115) ويُعرّف حـــاتم ومايســـن هـــذا الإجراء بمصطلح «**Over-lexicalization**» ويقصد به التنويع في المفردات بصفتها وســـيلة

لتسليط الضوء على شيء أو فعل معين من خلال إعطاء اهتمـــام خـــاص إلى الخيـــارات المعجمية. ويكمن الهدف من تكرار المفردات في إبراز الملامح التي تعطي ديناميكية للـــنص الأصلي وتضع المترجم بين خيارين: إما البحث عن مصطلحات لغوية في لغة الترجمـــة ذات دلالة لغوية مشابهّة لكنها مصطلحات مألوفة نسبياً لدى قرّاء اللغة المستقبلة، أو العكس، أن ينحل **calquer** مفردات النص المصدر غير المألوفة لكنها تسمح بظهور مفـــردات الـــنص الأصل الغريبة في اللغة الهدف. (Hatim and Mason, 1997, p. 125) .

وتعرض تشكيلة المرادفات المدرجة في هذا النموذج الخلفية الأيديولوجية التي يرمـــي المترجم ترسيخها في الترجمة لكي تتحدّد وفقها الأيديولوجيا المراد خلقها وعرضها في النص. كما يمكننا القول أن الاستخدام الواسع والمتكرر لهذه الكلمات في النص الهدف هو تعـــبير عن أهميتها في الثقافة المستقبلة، وعامل يساعد على الحفاظ وعلى ترسيخ الإيمان بالمعتقدات في وعي قرّاء النص الهدف.

وقد كان بالإمكان نسخ مفردة **Allah** حتى لا تفقد الكلمة خصائصها الدلاليـــة أو أيقونيتها **iconicité** : أي الكلمة التي يتوافق شكلها مع المعنى، وفقا للإجـــراء التشـــويهي الذي عرضه أنطوان برمان (الإجراء الخامس من إجراءات التشويه الإثنى عشر التي عارضها أنطوان برمان في الترجمة الأدبية) وهـــو إجـــراء **الإفقـــار النـــوعي appauvrissement qualitatif**، حتى لا تُطمس ثقافة أو عقيدة المجتمع الذي نشأ فيه النص الأصل خاصـــة إذا علمنا أن الإنسانية على دراية بأن **الله Allah** هو إسم الجلالة لدى المسلمين.

1.2: الحذف Suppression:

وهو إجراء عادة ما يلجأ إليه المترجمون لإغفال كلمة أو حجب معنى لدواعي مختلفة، ويتعلق الأمر بالصنف الثاني من المفردات التي ذكرها نورمان فيركـــلاف (1998) وهـــي المفردات ذات **القيمة العلاقاتية Relational value** :

> A formal feature with relational value is a trace of and a cue to the relationships *which* are enacted via the text in the discourse. Relational value is to do with relations and social relationships». (p. 112)

ويتعلق الأمر «بالدلالة ذات الأثر الذي يُحيل إلى العلاقات الاجتماعية التي يتم سنُّها عن طريق النص في الخطاب. وأن المدلول في هذا السياق يتصـــل (بوضـــوح) بالعلاقـــات والعلاقات الاجتماعية» (ترجمتنا). وشرحا لهذا المفهوم، يقول فيركلاف أن غالبا ما يتبنّـــى مُنشئ النص استراتيجية الحذف [...] لأن السياق يفـــرض أشـــكالا تتصـــل بالعلاقـــات الاجتماعية، والحال كذلك بالنسبة لاختيار مفردات مناسبة تتوافق مع السياق بـــدلا مـــن مفردات أخرى متاحة تكون أقل توافقا معه (ما يُرغب عرضه و ما لا يُرغب في فرضـــه). (Ibidem : 117)

وفي هذا الصدد، سنعرض بعض نماذج عمليات الحذف للبرهنة على استعمال هـــذا الإجراء في عملية الترجمة لسبب أو لآخر.

النموذج 01 :

قصر الشوق :
«أم حنفي: انظروا إلى اللبلاب والياسمين ! ليت عندكم مثلهما، لـــيس في ســـطحكم إلا الدجاج والخروفان اللذان تسمنونهما **للعيد** » (ص 27)
Le Palais du Désir :
« …Il n'y a que des poules et ces deux moutons que vous engraissez pour **la fin du jeun** » (p.48)

جاء هذا النموذج في سياق الحوار بين أحفاد السيد عبد الجواد، يتباهون ويلعبـــون ويتناقشون في بهو المترل، وكانت التركيبة اللغوية ضمن الحديث الذي دار بين الأطفال.

وفيها قوبلت كلمة «**عيد**» بعبارة «**la fin du jeun**»، إذ نجد أن كلمة العيد تحمل دلالة خاصة بالنسبة للمسلمين لكن فضّل المترجم توظيف مكافئ للمفردة يتمثل في ظـــرف زمان بدلا من نسخ كلمة **l'Aïd** بكل مكوناتها المادية والصوتية حتى تنقل مـــا احتوتـــه في مضمونها من دلالات كي لا تفقد الكلمة خصائصها الدلالية أو أيقونيتها **iconicité** وفقـــا لإجراء الإفقار النوعي **appauvrissement qualitatif** الذي تطرق إليه أنطوان برمـــان في منهجه النقدي، حتى لا تُطمس ثقافة المجتمع الذي نشأ فيه النص الأصل. وفضلا عن ذلك، يعمل النسخ على التعريف بهذه الثقافة ومميزاتها في إطار التبادل والحوار بين الثقافات. كمـــا من شأن هذا الإجراء أن يرفع اللبس الذي يشوب المكافئ الذي اختاره المترجم لإمكانيـــة الخلط عند غير المسلمين بين استعمال الخـــروفين لمأدبـــة الإفطـــار **rupture du jeun** أو

تحضيرهما ليوم العيد، والغالب أن الخروفين موجهين ليوم النحر أي عيد الضحى ولا علاقة لشهر الصيام بهما.حيث كان بإمكانه على أقل تقدير استعمال كلمة **fête** للدلالة على هذا اليوم الاحتفالي الذي يفرح فيه المسلمون على غرار جميع الشعوب التي لها أعياد تحتفل بها. فمن المعلوم أن للمسلمين عيدين، لكن كانت رغبة المترجم واضحة في إخفاء كلمة «**عيد**» عن النص الهدف حتى لا تظهر للمتلقي أو عزل هذا الأخير عن مميزات الثقافة التي نشأ فيها النص الأصل، ربما لإنكار ثقافة التلقي لهذه الشعيرة الإسلامية التي يتم فيها نحر الأضاحي أو حجبها تماما عنه. ومن ثم، أصبح لعملية الحذف بعدا أيديولوجيا بصفته معيارا يتحدّد وفقه نوع المكافئ.

النموذج 02 :

قصر الشوق :
« جاءني الشيخ متولي عبد الصمد بأحجبة لأولاد خديجة وعائشة، ودعا لي قائلا : **إن شاء الله** أعمل لك أحجبة لأولاد أحفادك.» (ص 8)
Le Palais du Désir :
« … **Si ça se trouve**, je vais bientôt en faire pour tes arrière petits enfants …» (p. 20)

جاء هذا النموذج في سياق حوار بين السيد أحمد عبد الجواد وزوجته أمينة، وحديثهما عن نتائج البكالوريا التي تهم ابنهما كمال، وتذكر السيد أن الشيخ متولي عبد الصمد قد جاءه بأحجبة لأحفاده، ودعا له.

نلاحظ في هذا النموذج أن المترجم قد استعمل عبارة **Si ça se trouve** مكافئا للعبارة العربية **إن شاء الله** وهو اختيار تضمن تحريفا فيه حذف لكلمة الجلالة وإفقار لمعنى العبارة العربية التي تتضمن مرجعية دينية تطغى على يوميات المجتمعات الإسلامية. في حين، نجد الترجمة قد أحالت الأمر إلى محض الصُدفة وجرّدته من محتواه الديني، ويجد هذا الحذف والتشويه مرجعيته في مواقف المترجم الذي أراد حجب اسم الجلالة عن الترجمة ونفي قيمته واستعمال مكافئ يتناسب مع نماذج التعبير في الثقافة المستقبلة خضوعا لمعيار التلقي حتى لا يبقى في النص الهدف أثر للثقافة والديانة التي نشأ فيها الأصل.

حيث كان بالإمكان نسخ الكلمة بكل مكوناتها الصوتية أي **Inchallah** أو عبارة أخـــرى تحافظ على المعنى ببعده الديني التي لا يجب أن تخلو من اسم الجلالة، كأن نقول: **Si Dieu le veut**، وتُصبح الترجمة من ثمة أقرب إلى المعنى وأكثر تناسبا مع السياق.

لكن هل يتكرّر الإجراء نفسه في الترجمة حتى يرتسم الانطباع بوضوح عن أثر أيديولوجيـــة المترجم والهدف من الترجمة؟

النموذج 03 :

قصر الشوق :
« أم حنفي: قرّرتموه حتى أقرّ، **لا حول و لا قوة إلا بالله** ! ارحموه و ألعبـــوا... » (ص 28)
Le Palais du Désir :
«Oum Hanafi : ça y est! vous avez réussi à le faire parler! Laissez le donc tranquille et allez jouez ! » (p 49)

جاء هذا النموذج في سياق الحوار السالف الذكر في النموذج الأول (الصفحة 27)، الممتّد إلى غاية الصفحة 28 التي أخذ منها هذا النموذج، وتضمن سؤال أحفاد السيد عبـــد الجواد عن والدي حفيده رضوان الذي تطلقت أمـــه مـــن ياســـين ابـــن الســـيد عبـــد الجواد، وكانت التركيبة اللغوية ضمن الحديث الذي دار بين رضوان وعبد المنعم وعثمان.

نلاحظ في هذا النموذج حذف عبارة **لا حول ولا قوة إلا بالله** التي تحمل دلاليـــة دينية تُحيل إلى تفويض الأمر كلّه لله وهو الاعتقاد الشائع عند المسلمين، بالرغم من وجود العبارة المكافئة في قاموس المترجم واستخدمها في مقام آخر وهي عبارة **Par Dieu le tout Puissant** (الصفحة 55 في النص الأصل، والصفحة 89 في الترجمة). قد يلاحظ القارئ أن الإجراء يتكرّر كلما تعلق الأمر بخصائص لغوية تحمل بعدا دينيا، رغبة في تحقيق الهـــدف المذكور في النموذج السابق.

النموذج 04 :

قصر الشوق :
«مبارك عليك البكالوريا يا سي كمال وعقبى للدبلوم **إن شاء الله** » (ص 31)
Le Palais du Désir :
« Continuez comme ça jusqu'au diplôme supérieur» (p 55)

جاء هذا النموذج في سياق الحوار بين أفراد العائلة بعد مغادرة السيد عبد الجـــواد البيت نحو الدكان، حيث كان صهره إبراهيم ينوّه بقدرات حماته في طهي الطعام وفضـــلها عليه، مغتنما الفرصة ليبارك لكمال نجاحه في البكالوريا.

ونلاحظ في هذا النموذج حذف عبارة **إن شاء الله** التي تحمل دلالة دينية تُحيـــل إلى مشيئة الله التي تشمل كل شيء حسب الاعتقاد الراسخ في المجتمعات الإسلامية مثله مثـــل المجتمعات التي تدين بالديانات السماوية. حيث كان بإمكان المترجم الـــذي لا نشـــك في قدراته العالية على إدراج المكافئ الطبيعي للعبارة، كأن يقول **Par la volonté d'Allah** أو أن يقول : **Si Allah le veut**. كما يُعرف عن المسلمين في المجتمعات الغربيـــة والمجتمـــع الفرنسي على وجه الخصوص بحكم احتكاكه المستمر بالجالية العربية المســـلمة الاســـتعمال المتكرّر لعبارة **إن شاء الله** ممّا جعلها تقترن بثقافة المسلمين، ويوجد منهم من يستعملها بكل

مكوناتها الصوتية ويقول **Inchallah**. فلماذا لم تتضمن الترجمة ذلك إذا كان الهدف منـــها تفعيل الحوار بين الثقافات؟

يُمكن للقارئ أن يلاحظ أن الإجراء نفسه قد تكرّر لأن لجوء المترجم إلى حـــذف عبارة تحمل اسم الجلالة يهدف إلى إضفاء بيئة جديدة على النص تعكس مواقف المتـــرجم وقناعاته ونظرته إلى العالم وعرضها على المتلقي، أو استعمال النماذج اللغوية السائدة في لغة القارئ المتلقي قصد تغيير المرجعية وطلبا للوضوح.

النموذج 05 :

قصر الشوق :
« فتشجع ياسين قائلا: أو هي أحلم غضوب، و **الله أعلم** ...» (ص 38)
Le Palais du Désir :
« … Ou l'irritabilité la plus calme ! s'enhardit Yassine. **Allez savoir** ! » (p 65)

جاء هذا النموذج في سياق الحوار المذكور في النموذج السابق (الصفحة 31) والممتّد إلى غاية الصفحة 38 التي أخذ منها هذا النموذج.

حيث يتكرّر الإجراء نفسه في هذا النموذج المتمثل في حذف عبارة **الله أعلم** التي تحمل دلالية دينية تُحيل إلى الاعتقاد الشائع في المجتمعات الإسلامية أن الله الذي وسع علمه كل شيء لا تخفى عنه لا صغيرة ولا كبيرة وما هو في الغيب، واستبدالها بعبارة تحمل المعنى نفسه وهي: **Allez savoir** التي تعني حسب قاموس Wictionnaire الالكتروني: Dieu seul le sait، إلا أنه آثر استعمال عبارة تخلو من البعد الديني الذي يتخلّل العبارة في النص الأصل وذلك لتغيير مرجعيته الثقافية والدينية لعدم الرغبة في ظهوره في النص الهدف حتى يُضفي عليه بيئة جديدة تعكس مواقف المترجم وقناعاته، واستعمال النماذج اللغوية السائدة في لغة القارئ المتلقي و المتجذرة في ثقافته طلبا للوضوح.

النموذج 06 :

قصر الشوق :
« ثم قالت و هي تتنهد بصوت مسموع : **حسبي الله ونعم الوكيل** لم أكن أعلـــم أن لي هنا حماة أخرى...» (ص 43)
Le Palais du Désir :
«Puis dans un soupir sonore : **Dieu du Ciel** ! Je ne savais pas que j'ai une deuxième belle mère dans cette maison» (p 71)

جاء هذا النموذج في سياق الحوار المذكور في النموذج الســـابق (الصـــفحة 31) والممتّد إلى غاية الصفحة 43 التي أخذ منها هذا النموذج.

وعند التأمل فيه، لمسنا تكييف عبارة **حسبي الله ونعم الوكيل** مع مرجعية المتـــرجم الدينية حين استعماله لعبارة ! **Dieu du Ciel** التي لا تحمل الدلالة نفسها، لأن العبارة العربية تُحيل إلى معنى تسليم وتفويض الأمْر إلى الله عند وُقوع ظُلْم وهي مستنبطة مـــن عقيـــدة المسلمين. وجاء معنى العبارة الفرنسية **Dieu du Ciel** في قاموس Wictionnaire الالكتروني كالتالي: .Expression qui exprime la surprise ou l'émotion. وبودنا أن نشير إلى أنه قد أسند لعبارة **حسبي الله ونعم الوكيل** في موضع آخر المكافئ التـــالي: **Par Dieu le tout Puissant**، لكنه امتنع هاهنا عن إدراج هذا المكافئ مُؤثرا استعمال الصيغة **Dieu du Ciel** بغرض إضفاء بيئة جديدة على النص تعكس مواقفه وقناعاته من خلال النمـــاذج اللغويـــة السائدة في لغة القارئ المتلقي و المتجذرة في ثقافته.

النموذج 07 :

قصر الشوق :
« **الله الله** إياك والخجل» (ص 50)
Le Palais du Désir :
«**Allons Allons diable** ne soit pas timide» (p 81)

جاء هذا النموذج في سياق الحوار المذكور في النموذج السابق (الصفحة 31) والممتّد إلى غاية الصفحة 50 التي أخذ منها هذا النموذج.

ونلاحظ فيه حذف اسم الجلالة في النص الهدف واستبداله بعبارة نزعت عن التركيب المستعمل خصوصيات البيئة العربية الإسلامية مُجردة النص الهدف من العمق الثقافي الديني الذي تخلله التعبير المستعمل حتى يُخيّل للقارئ من خلال المكافئات التي يعرضها أنه يقرأ نصا نشأ في بيئة أراد المترجم رسمها وتمثيلها لهذا القارئ. قد يكون بإمكاننا تفهم اللجوء إلى هذا الأمر بسبب الإكراهات الثقافية التي تطرحها الترجمة الأدبية ، غير أنه لا يُمكن أن نفهم اقتران كلمة الشيطان **Diable** بترجمة اسم الجلالة، وهو الأمر الذي أردنا تسليط الضوء عليه باعتباره أمرا أكثر خطورة لا يسعنا سوى جلب انتباه القارئ إليه ودعوته إلى التفكير في المرجعية التي كان لها الأثر في عمل المترجم والهدف منه، وهي بلا شك مرجعية تتصل بأيديولوجيته.

النموذج 08 :

قصر الشوق :
« **لم؟ كفى الله الشر** ... » (ص 89)
Le Palais du Désir :
« **Pourquoi Diable** ! Parle- nous pas de malheur. » (p 136)

جاء هذا النموذج في سياق سهرة سمر جمعت أحمد عبد الجواد بأصدقائه علي عبد الرحيم وإبراهيم الفار ومحمد عفت والسيدة زبيدة على متن العوامة، يتحادثون ويتضاحكون، وبعد مغادرة السيد علي عبد الرحيم العوامة، تبعه أحمد عبد الجواد ومحمد عِفّت ليوصلاه إلى الباب الخارجي، وعند ذاك طلب محمد عِفّت من أحمد عبد الجواد إن كان يُريد زُبيدة أم جليلة، فردّ عليه السيد عبد الجواد أنه لا يُريد لا هذه ولا تلك وسيكتفي بالشراب وسماع العود.

نلاحظ في هذا النموذج، على غرار عديد المواضع التي تخللتها تعابير تحمل اسم الجلالة، المشحون أيديولوجيا أن المترجم قد نزع إلى حجب اسم الجلالة وحذفه ليُدرج مكانه مكافئات أخرى تحمل إما اسم الشيطان مثل ما هو الحال في ترجمة هذا المقطع والمقطع المشار إليه في النموذج السابق، أو نجده قد استعمل أشكالا لغوية سائدة في لغة الوصول لتغيير المرجعية الأيديولوجية المُترسخة في لغة النص الأصل لتحل محلها مرجعية أيديولوجية أخرى.

النموذج 09 :

قصر الشوق :
«خير إن شاء **الله**». (ص 112)
Le Palais du Désir :
« **Allons bon**, **rien de grave au moins** » (p167)

جاء هذا النموذج في سياق الكلام الذي ردّده السيد أحمد عبد الجـــواد في نفســـه عندما رأى ياسين مُقبلا نحوه الدكان في زيارة غريبة وغير متوقعة لأن ياسين لم يجئه لتبادل التحية والسلام ولا للحديث عن شيء عادي وإنما جاء لمقابلته في الدكان لشـــأن خطـــير. صافحه ثم دعاه إلى الجلوس وهو يقول خيرا إن شاء الله.

نلاحظ في هذا النموذج أن الإجراء يتكرّر بطريقة ممنهجة تُفسّر لجوء المتـــرجم إلى هذه الاستراتيجية مستعملا أشكالا لغوية سائدة في لغة الوصول خالية من البعد الأيديولوجي الذي تضمنته التركيبة اللغوية في النص الأصل رغبة منه في تغيير المرجعيـــة الأيديولوجيـــة وإضفاء بيئة أخرى مكان الأيديولوجية المُترسخة في لغة النص الأصل.

النموذج 10 :

قصر الشوق :
« هل تهيم للضعة **لوجه الله** » (ص 57)
Le Palais du Désir :
«Tu t'es entiché de la médiocrité **comme- ça pour rien** » (p 92)

جاء النموذج في سياق الحوار بين السيد أحمد عبد الجواد وابنه كمال حول مستقبل هذا الأخير وميدان الدراسة الذي اختاره، فبينما كان الوالد يُحبذ أن يرتاد ابنه كلية الحقوق طلبا للمنصب والجاه، كان الولد ميّالا للعلوم راغبا دخول مدرسة المعلمين لأنها السبيل إلى العلوم وثقافة الفكر التي يتطلع إليها. ولما سأله والده عن ثقافة الفكر رد الابن أنه لا يعرفها. فإذا بالوالد يسأل ابنه: إن كنت لا تعرفها فبأي حق اخترتها، هل تهيم للضعة **لوجه الله** ؟

نلاحظ في هذا النموذج مقابلة عبارة **لوجه الله** بعبـــارة **comme- ça pour rien** التي نظنها تكافئ الأصل في المعنى. غير أنه آثر استعمال عبارة تخلو من البعد الـــديني بعـــد حذفه اسم الجلالة الذي يتخلّل العبارة في النص الأصل، رغبة منه في إزالة الشحنة الدلاليـــة التي تضمنتها التركيبة في لغة الأصل باستعمال النماذج اللغوية السائدة في لغة القارئ المتلقي المتجذرة في ثقافته. ومن شأن هذا الإجراء أن يُضفي بيئة جديدة على النص الأصل.

تبيّن من النماذج التي تمّ تحليلها أعلاه أن عملية الحذف تجد قوامها في عدم الاشتراك في المرجعية الدينية. وفي هذا السياق، يؤكد فيركلاف « أن الفشل في إبعاد أو حذف دلالة المفردة يعني الاشتراك في الخلفية الأيديولوجية بين المُنشئ والمتلقي. كما يتبيّن أن الهدف من عملية الحذف الكامن وراء استبعاد المفردات والتعابير الاصطلاحية المشحونة أيديولوجيا واستبدالها بمكافئات في اللغة الهدف هو تغيير مرجعيته الثقافية والدينية، لعدم الرغبة في ظهورها في النص الهدف».(Fairclough, op.cit: 116).بمعنى السعي لطمس هوية النص الأصل وإضفاء بيئة أو هوية جديدة على النص الهدف.

1.3: الإضافة l'Adjonction:

وهو إجراء كثيرا ما يعمل به المترجمون للمبالغة أو الإطناب أو إعطاء المفردات معاني مغايرة ، حيث يتعلق الأمر بالصنف الثالث من المفردات حسب تصنيف نورمان فيركلاف (1998) المذكور أعلاه، وهي المفردات ذات القيمة التعبيرية **Expressive value**

> A formal feature with expressive value is a trace of and a cue to the producer's evaluation. (in the widest sense) of the bit of the reality it relates to. Expressive value is to do with subjects and social identities, though only one dimension of the latter concepts is to do with subjective values» (p. 112)

ويتعلق الأمر «بالدلالة ذات الأثر الذي يُحيل إلى تقييم المنشئ (في معناه الواسع) لجزء من الواقع الذي يتصل به. وأن هذا المدلول في هذا الصنف يرتبط بالمواضيع والهويات الاجتماعية». ويضيف فيركلاف «أن ذلك يكمن في عملية تعبئة القيمة التعبيرية للمفردات لغاية الإقناع (أسلوب الإقناع)، الشيء الذي يستلزم إضافة المفردات المشحونة أيديولوجيا رغبة في تعزيز وترسيخ الأفكار والمعتقدات». (Ibidem : 112).

وتأتي فيما يلي بعض النماذج التي تندرج في إطار إجراء الإضافة التي ستسمح لنا بمعاينة استراتيجية المترجم في إنجاز عمله بغية تبليغ المعاني التي أرادها أن تظهر في الترجمة.

النموذج 01 :

قصر الشوق :
«... **يا عجبا** ... ألهذا الحد يُعير بعض الناس أهمية لهذه الأمور التوافه...» (ص 06)
Le Palais du Désir :
«... **Ciel** ... se trouvait- il des gens en ce monde pour accorder autant d'importance à des choses aussi futiles ! » (p. 16)

جاء النموذج في سياق الحوار الذي دار بين السيد عبد الجواد وزوجته أمينة، وفجأة تَذكر السيد مجلس الأنس مع السيد علي عبد الرحيم ورفاقه الآخرين وبعض الوقائع الـــتي تخلّلت مجلسهم وصفها بأنها أمور تافهة وتعجب للأهمية التي تُعطى لها بالرغم من تفاهتها.

نلاحظ في هذا النموذج استبدال عبارة التعجب "**يا عجبا**" بمفردة "**Ciel**" (الإله – الرب) التي تتضمن دلالة التعجب كذلك. قد يكون المترجم قد آثر هذا الاستعمال اللغوي المشحون أيديولوجيا ليَضيف قيمة تعبيرية وشحنة للمفردة رغبة في تعزيز وترسيخ الأفكـــار والمعتقدات، وأراد بإضافة اسم الإله تغيير المرجعية الأيديولوجية للمكافئ واستعمال المألوف من الكلام في لغة التلقي وخلق بيئة مغايرة للبيئة التي نلمسها في النص الأصل.

ونجده قد أعاد الكرّة في الموضع التالي الذي جاء في سياق حديث السيد عبد الجواد مع ابنه كمال حول المدرسة التي ينوي الالتحاق بها، حيث كان الابن يود الالتحاق بمدرسة

المعلمين بينما كان الوالد يُحبذ أن يرتاد ابنه كلية الحقوق طلبا للمنصب والجاه، عكس الولد الذي كان ميّالا لمعرفة أصل الحياة لأنها السبيل إلى العلوم وثقافة الفكر.

قصر الشوق :
« **يا عجبا !** ألهذا الحاضر يُصر الناس على ما فيه ضرر مُحقّق لهم ...» (ص 53)
Le Palais du Désir :
«… **Ciel** ! les gens pouvaient- ils donc s'entêter de la sorte pour des choses aussi manifestement néfastes pour eux ! » (p 86)

بينما نجد في النموذج الموالي الذي جاء في سياق وصف العواطف التي يُكنّها ياسين لحبيبته مريم، أن المترجم قد اختار مكافئا آخر أتاحته اللغة الفرنسية يحمل المعنى الذي تضمنته المفردة و يتمثل في كلمة : **Oh étonnement**

قصر الشوق:
« ... **يا عجبا !** أكان وجودك ينيل أملا أفقدنيه البعاد ؟» (ص 19)
Le Palais du Désir :
« **Oh étonnement** ! Ta présence m'était-elle encore le lieu d'un espoir d'où m'a banni ton absence ? » (p.35)

ومنه، يمكننا القول أن اختيار المكافئات مشحونا أيديولوجيا يهدف إلى تغيير المرجعية الأيديولوجية وترسيخ المعتقدات. كما لا يسعنا هذا الاختيار أن نتجاهل التكرار المُمنـــهج للعملية حتى يوحى للقارئ بأن النص قد نشأ في بيئة غير البيئة التي نشأ فيها النص الأصل.

النموذج 02 :

قصر الشوق :
« اسمعوا **الحِكَمْ** (...) أنت تتفادى من اليقظة ما وجدت سبيلا إلى النوم! » (ص 35)
Le Palais du Désir :
« Ecoutez **le bon apôtre** (…) Dites plutôt que vous évitez de garder les yeux ouverts tant qu'il y a moyen de dormir! » (p 62)

جاء النموذج في سياق الحديث بين خديجة ابنة السيد عبد الجواد وزوجها إبـــراهيم بحضور أفراد العائلة، حول المرأة ومكانتها. بينما كان الجميع يتبادل الآراء حول الموضوع، قال السيد إبراهيم أنه يشارك رأي خليل في كون خديجة مثال صالح للمرأة الماكثة بالبيـــت غير أنها تتجاهل حقها من الراحة، لكنه آثر السكوت تفاديا لوجع الدماغ. وسرعان ما مدّ كمال (أخ خديجة) بصره إلى إبراهيم وهو يقول : كأنك تخافها ! فقال الرجل أنه يتفـــادى من النكد ما وجد إليه سبيلا إلى السلامة، وأختك تتفادى من السلامة ما وجدت سبيلا إلى النكد. فجاء رد السيدة خديجة بالتركيبة اللغوية محل التحليل.

نلاحظ في هذا النموذج أن المترجم قد قابل مفردة «**الحِكَمْ**» بعبارة **le bon apôtre** ومعناها حسب قاموس Wiktionnaire الالكتروني :

Faire le bon apôtre : Chercher à tromper en imitant l'homme de bien.

ونجد أن الترجمة قد تضمنت العبارة التي تكافئ المعنى أي من حيث المضمون وهو الشـــيء الذي نجح فيه المترجم إلى أبعد الحدود، غير أن لدينا تحفظا على مستوى الشكل لاستعماله كلمة **apôtre** (الحواري أو أنصاري من أنصار النبي عيسى عليه السلام) التي يعرفها قاموس Larousse électronique على النحو التالي:

- Nom qui désigne dans les premiers temps de l'église soit les douze disciples choisis par Jésus (...), soit les premiers messagers de l'évangile appelés par vocation particulière (...)
- Nom de ceux qui ont, les premiers, porté l'□vangile dans une ville ou dans un pays.

وهي مفردة تحمل شحنة أيديولوجية وقيمة تعبيرية تعمل على تعزيـــز وترســـيخ الأفكـــار والمعتقدات. حيث نتج عن تصرف المترجم دخول أو بالأحرى إضافة مفردات ذات مرجعية أخرى تُضفي بيئة مغايرة على النص الهدف. كما كان لهذا الإجراء الذي تخلّل العملية الأثر في إدراج تعابير ونماذج لغوية تتناغم مع البيئة التي ألفها القارئ المتلقي.

النموذج 03 :

قصر الشوق :
«... هي مهنة يختلط فيها **الأفندي بالمجاور**، خالية من كل معاني العظمة والجلال...» (ص 51)
Le Palais du Désir :
« …c'est un métier ou **le petit bourgeois habillé à l'européenne** côtoie sans distinction **l'étudiant pouilleux d'al Azhar**…, un métier dépourvu de toute grandeur, de toute gloire. » (p. 84)

جاء النموذج في سياق الحوار بين السيد أحمد عبد الجواد وابنه كمال حول مستقبل هذا الأخير وميدان الدراسة الذي اختاره، فبينما كان الوالد يُحبذ أن يرتاد ابنه كلية الحقوق طلبا للمنصب والجاه، كان الولد يود الالتحاق بمدرسة المعلمين طلبا للفكر والعلم والمعرفة. حيث أن مهنة القاضي أو النائب العام تجلب والاحترام، بينما مهنة المعلم هي مهنة يختلط فيها الأفندي بالمجاور خالية من العظمة والجلال.

يمكننا أن نلاحظ في هذا النموذج أن الأصل قد تضمن حديثا عن وظيفة المعلم يختلط فيها الغني بالفقير وتتعايش فيها مختلف طبقات المجتمع مع بعضها البعض، وتضمنت الترجمة تمديدا لوصف الأفندي (كلمة تركية تعني السيد كانت تطلق في مصر إبان حكم الأتراك على أصحاب الوظائف) بإضافة عبارة **habillé à l'européenne** أي اللباس على الطريقة الأوروبية (بذلة و ربطة العنق) لتتلازم صفة الأناقة والبرجوازية مع الإنسان الأوروبي دون

سواه. في حين، نجد أن "**الأفندي** " في المجتمع المصري يعد من الطبقة الاجتماعية المحترمة ولباسه يناسب مقامه، وقد يكون لباسا من الطراز الأوروبي كما يمكن أن يكون لباسا تقليديا يعكس انتمائه للطبقة الاجتماعية نفسها دون أن يكون لزوما عليه ارتداء الزي الأوروبي. جاءت الإضافة ليس لغرض توضيح المعنى بل لتضيف قيمة في المعنى يوحي بعُلُو الثقافة الأوروبية وهو الهدف الذي يصبو إليها المترجم بهذا الإجراء. كما ذهب المترجم إلى إضافة أوصاف لا نجد لها أثرا في النص الأصل، يصف بها طالب الأزهر الشريف "**المجاور**" وصفا غير لائق مُتزلا إياه متزلة متدنيّة للتقليل من شأنه حين يُمثله بذلك الإنسان الذي غزى القمّل شعره في قوله : **l'étudiant pouilleux d'Al Azhar**. وهي إضافة غير عفوية ولا بريئة قصد من ورائها المترجم **إبراز إيجابيات الثقافة الهدف** أي التبجيل وعُلُو الثقافة الأوروبية **وإبراز سلبيات ثقافة النص الأصل** ضمن استرتيجية الخطاب الأيديولوجي وهي دلالة على صراع أيديولوجي حضاري مبيّت.

النموذج 04 :

قصر الشوق :
« ولكنك يا بابا تحترم **علماء الدين** وتُحبهم ! » (ص 53)
Le Palais du Désir :
« Mais vous père (…) vous respectez **les docteurs de la loi religieuse** et les aimez ! » (p 86)

جاء النموذج في السياق نفسه الذي ورد فيه النموذج السابق، أي مستقبل كمال ابن السيد أحمد عبد الجواد، وحديثهم المتضارب عن ابتغاء المنصب من الدراسة وطلب العلم والمعرفة.

نلاحظ في هذا النموذج أن الترجمة قد تضمنت إضافات استخدمت لغرض الإقناع وترسيخ المعتقدات على غرار **les docteurs** و **la loi** وهي إضافات مشبوهة ومضلّلة بعيدة عن معنى عبارة **علماء الدين** التي يقابلها في الفرنسية المكافئ الطبيعي **Les érudits de la religion**، أما أن نقول بأن علماء الدين هم دكاترة القانون الديني (ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية) إشارة إلى حجم القوانين التي تتطلب شهادة دكتوراه حسب تصوره أو حسب ما يُريد رسمه في ذهن القارئ، فذلك يُعد تشويها وتحريفا للمعنى الصحيح. حيث لمسنا من هذه الإضافة رغبة المترجم في القول بأن الدين الإسلامي هو مجموعة قوانين تحكم الناس توحي حسب الصورة النمطية التي رسمها الغرب عن المجتمعات العربية الإسلامية إلى

مجموع المحظورات والحريات المكبوحة والمكبوتات وغيرها من الصور النمطية التي تُنسب للدين الإسلامي والمسلمين. فالمراد من هذه الإضافة إبراز الصورة النمطية وترسيخها و تندرج ضمن صراع الأديان. وهي في حقيقة الأمر محاولة تشويه لهذا الدين لأن الإسلام بالنسبة للمسلمين ليس قانونا بل مشروع مجتمع كامل متكامل للحياة بكل جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية يحمل رسالة سماوية للبشرية جمعاء أفرادا ومجتمعات.

النموذج 05 :

قصر الشوق :
« فعادت زبيدة تهاجمه قائلة في تهكم : **يا ولداه !** حرّمت على نفسك اللذّات كلها، كلها **يا ولداه**، حتى لم يبق لك منها إلا... » (ص 83)
Le Palais du Désir :
« **Bonté divine** ! lança-t-elle ironique. Vous vous êtes refusé tous les plaisirs. Tous, **ô mon Dieu** au point qu'il ne vous reste plus que ceux ….» (p 129)

جاء النموذج في سياق ليالي الأنس التي اعتاد عليها السيد أحمد عبد الجواد وأصدقائه بصحبة زبيدة وجليلة، وجاء التركيب اللغوي محل التحليل بين ثنايا الحوار بين السيد أحمد عبد الجواد و زبيدة وجليلة عند الحديث عن انقطاع هذا الأخير عن هذه المجالس لمدة خمس سنوات،.

نلاحظ في هذا النموذج استخدام عبارة «**Bonté divine**» مكافئا للعبارة التي تضمنها النص الأصل «**يا ولداه !** ». وتُصنف العبارة الفرنسية حسب موقع internaute الالكتروني ضمن الأدوات التي تفيد القسم أو التعجب أو التهكم أو الغضب، وهي عبارة تنتمي إلى أدوات القسم الدينية Juron religieux، وهي لا تتكافأ لا من حيث المعنى أو الشحنة الدلالية مع عبارة «**يا ولداه !** » التي جاءت في النص الأصل خالية من اسم الجلالة لتُعبّر عن المناجاة. وكذلك كان الحال عند استعماله تركيبة مغايرة "**O mon Dieu**"

ومشحونة أيديولوجيا مكافئا للعبارة العربية نفسها «**يا ولداه !** » التي تكـــرّرت ثانيـــة في موضع آخر. و بالنظر للخيارات التي تتوفر عليها اللغة الفرنسية، جعلنا الأمر نتساءل عـــن الغرض من استعمال هذه الصيغ التي تحمل شحنة أيديولوجية وقيمة تعبيرية تعمل على تعزيز وترسيخ الأفكار والمعتقدات. قد يكون المراد منها رسم عالم يُمثل نظرة المترجم إلى العالم أو إدراج نماذج تعبيرية تتطابق مع النماذج السائدة في المجتمع المتلقي تعمل على تغيير المرجعيـــة الأيديولوجية تُضفي على النص الهدف بيئة مألوفة لدى هذا القارئ الأجنبي.

النموذج 06 :

قصر الشوق :
«ألم تشرب قهوتك بعد ؟ فرفع ياسين الفنجان إلى فيه [...] و تنحنح قليلا ثم أنشأ يقول : شد ما ساءني ما انتهت إليه صداقة الأسرتين، ولكن ما باليد حيلة» (ص 126)
Le Palais du Désir :
« Yassine porta la tasse à ses lèvres (…) et toussota légèrement avant de déclarer : **Dieu** que j'ai eu de la peine à voir ce qu'il est devenu de l'amitié entre nos deux familles! Mais c'est comme ça ! Qu'importe ! » (p187)

جاء النموذج في سياق زيارة ياسين ابن السيد أحمد عبد الجواد إلى بيت السيدة بهيجة والدة مريم وحديثهما عن العداوة التي ميّزت علاقة العائلتين بعد عشرة العمر كلّه نتيجة للجفاء الذي قوبلت به السيدة بهيجة بعد وفاة فهمي ابن السيد عبد الجواد. وكانت السيدة بهيجة قد التفت إلى فنجان القهوة الذي كان على الصينية وسألت ياسين عن سبب عدم تناوله القهوة، فشرب القهوة وواصل سياق حديثه معها وجاءت على لسانه التركيبة اللغوية التي تضمنت الإضافة.

نلاحظ في هذا النموذج أن الشيء نفسه يتكرر أي إضافة اسم الإله في بداية الجملة، والظاهر أن هذا الإضافة هو عملية ممنهجة الغرض منها استعمال النماذج التي تتطابق مع نماذج التعبير المألوفة في اللغة المستقبلة، وهي تحمل طيّها شحنة أيديولوجية وقيمة تعبيرية تعمل على تعزيز وترسيخ الأفكار والمعتقدات.

النموذج 07 :

قصر الشوق :
« إذا بليتم فاستتروا ! » (ص 81)
Le Palais du Désir :
« **Si Dieu** vous a éprouvé, cachez-vous [1] » (p187) Mention de bas de page : 1- Hadith.

جاء النموذج في سياق لقاءات السيد أحمد عبد الجواد وأصدقائه علي عبد الـــرحيم وإبراهيم الفار ومحمد عفت والسيدة زبيدة والسيدة جليلة على عوامة مخصصة لمجالس الغرام والسهر والمجون، ومن أطراف الحديث الذي كانوا يتبادلونه عبارة : « إذا بليتم فاستتروا! » لم يثبت أن العبارة حديث ورد عن الرسول لكن معناه صحيح لأن المسلم مطالب بأن يستتر حين الخطأ بات يستره ربه، ولا يصح أن يكشف ستر الله عنه، لكن نلاحظ إصرار المترجم بواسطة الإحالة أسفل الصفحة على تصنيفها ضمن أحاديث الرسول لا لشيء سوى لأنهـــا تزامنت مع سياق سلبي (مجالس اللهو)، الهدف منه **إبراز سلبيات ثقافة النص الأصل** ضمن استراتيجية الخطاب الأيديولوجي.

كما يجلب هذا النموذج انتباهنا إلى تكرار العملية بإضافة اســـم الإلـــه في بدايـــة الجملة الذي لا وجود له في الجملة العربية تحقيقا للهدف المشار إليه في النموذج السابق أي إضافة قيمة تعبيرية وشحنة دلالية. والحقيقة أن المترجم ما انقطع عن تجريد النص الأصل من خصائص متأصلة في ثقافة ومعتقدات المجتمع الذي نشأ فيه النص الأصل أو تشويهها بهدف تغيير المرجعية الأيديولوجية وتجسيد نظرته إلى العالم وأيديولوجيتـــه وترســـيخ المعتقـــدات والأفكار لدى القارئ.

2 – نتائج الدراسة التطبيقية:

خلصت الدراسة من خلال العمل التطبيقي الذي شمل في ضوء منهج التحليل النقدي للخطاب تحليلا للمفردات ضمن النماذج المختارة من رواية «**قصر الشـــوق**» وترجمتـــها بعنوان « **Palais du Désir** » إلى الفرنسية، إلى استنتاج يعرض إجابة صريحة عن الأسئلة المطروحة ضمن إشكالية الدراسة، نُلخصها في ما يلي:

1- استخدام أسلوب **الاقتراض L'emprunt** و**النسخ Transliteration** الذي يعد مـــن أبسط طرق الترجمة عند غياب المرجعية في اللغة المنقول إليها. فعادة ما تحدث الاستعانة بهذا الإجراء للحديث عن العادات والتقاليد لإضفاء نكهة محلية على النصوص بإبراز تعـــابير أو مفردات غير مألوفة تظل على أصلها وكتابتها بحروف اللغة الهدف لتقريبها إلى الأذهـــان. وقد خلُصنا إلى أن العملية قد اقتصرت على نسخ مفردات النص الأصل التي تحمل في ثناياها مميزات ثقافية، حيث نزع المترجم إلى نسخ العديد من المفردات المعبّرة عن خصائص ثقافـــة النص الأصل (الثقافة العربية) مدوّنا إياها بكل مكوناتها الصوتية ولجأ إلى شـــرح دلالاتهـــا ومعانيها بهوامش أسفل النص، أمّا تلك التي يجد لها مرجعية في ثقافته ودينه لأنها مشتركة بين الثقافتين والديانتين، فلجأ إلى ترجمتها بمكافئاتها في لغة الوصول. لكننا وقفنا من خلال تحليل النماذج أعلاه على عزوف المترجم عزوفا تاما عن نسخ مفردات وعبارات أخرى لها صـــلة بمبادئ وتعاليم الدين الإسلامي التي لا يجد لها مرجعية في ديانته حتى لا تظهـــر في الـــنص الهدف وتُحجب عن المتلقي، فلجأ تارة إلى تحريف معانيها، وتارة إلى حذفها وتارة أخـــرى

إلى استبدالها أو إضافة مفردات تحمل مفاهيم دينية أخرى، سعيا منه لتغيير المرجعية الأيديولوجية لإضفاء بيئة (أيديولوجية) مغايرة على النص الهدف وترسيخ مبادئها في ذهن القارئ المتلقي.

إشهادا على ازدواجية التعامل مع المفردات، أدرجنا جدولا به مجموعة من المفردات خضعت لعملية الاقتراض أو النسخ وجدولا آخر لمفردات تتكافأ ترجمتها مع معانيها:

أ- **المفردات– العبارات خضعت لعملية الاقتراض أو النسخ**:

المفردة	الاقتراض/النسخ
الملبن	Malbane
ملوخية	Mouloukkhiyya
الجبة	djoubba
الحماسة	La hamasa
المشربية	Moucharabieh
الطربوش	Tarbouche
القفطان	Cafetan
الشيخ	Cheikh
البقلاوة	Baklava
المواسم	Moussems
العريف	L'Arif
الغورية	Al- Ghouriya

ب- **المفردات– العبارات المترجمة حسب المعنى أو المكافئ** :

الكلمة	الترجمة
عند الله الشفاء	En Dieu et la guérison
رحم الله الراحلين	Que Dieu prenne les morts dans sa miséricorde
جعل الله الجنة مثواك	Que Dieu t'ouvre les portes du paradis
و أمره لله	En remettant son destin à Dieu
ليلة القدر	La nuit du destin
الحسد	Le regard de l'envieux
حسبي اللّه و نعم الوكيل	Par Dieu le tout Puissant
بحمد اللّه	Grâce à Dieu
العين	Le mauvais oeil
اللّه يكرمك	Dieu vous honore
لعنة اللّه	Dieu maudisse…
أستغفر اللّه	J'en demande pardon à Dieu
بإذن اللّه	Si Dieu le permet

وتجعلنا ازدواجية التعامل مع المفردات والعبارات وفقا للنماذج التي تمّ تحليلها أعلاه، نستنتج أن المترجم قد اتّبع استراتيجية تستند إلى **تغيير المرجعية الأيديولوجية** من أجل طمس كل ما يتصل بالدين السائد في البيئة التي تدور فيها أطوار الرواية وهو الإسلام، وأن هـــذا

السلوك يجد تفسيره في الدوافع **الأيديولوجية ذات المرجعية الدينية** التي كانت سببا مباشرا لتحديد هذه المواقف والاختيارات سواء بوعي من المترجم أو بدون وعي منه.

2- إلى جانب استراتيجية الاقتراض والنسخ، تبيّن من خلال الدراسة التطبيقية التي استندت إلى المقاربة التاريخية للخطاب ضمن منهج التحليل النقدي للخطاب أن الترجمة قد خضعت لعمليات التشويه والحذف والإضافة بغية التصرف في المعاني من أجل :

- **إبراز إيجابيات الثقافة المستقبلة.**
- **إبراز سلبيات ثقافة النص الأصل.**
- **تذليل إيجابيات ثقافة النص الأصل.**

وكان لهذه الاستراتيجية الأثر الواضح في اختيارات المترجم :

- تلبية لأغراض وأهداف شخصية تعكس أيديولوجيته وثقافته وتاريخه وبيئته.

- تلبية لمآرب تستجيب لمتطلبات القارئ وتطلعاته قصد إرضائه وتسهيل عملية التلقي حتى تُكلّل الترجمة بالنجاح.

- أو انصياعا لإملاءات وإكراهات دور النشر التي تتبنّى إمّا سياسة قومية تُلمح إلى حقيقة الصراع الحضاري بين الأمم وتهدف من ورائها إلى ترسيخ المعتقدات والأفكار السائدة في مجتمعاتها أو تغيير أو جلب مفاهيم جديدة تخدمها، وإمّا هدفا تجاريا محضا ترمي من خلاله إلى تحقيق الأرباح تناسبيا مع مقدار تلقي القارئ للترجمة ورواجها.

وفي الختام، يُمكننا القول أن نص المدونة قد خضع بطريقة ممنهجة من خلال المنهج الـــذي تبنّاه المترجم بمواقفه وخياراته إلى عمليات **التشويه والحذف والإضافة** علـــى مســـتوى المفردات والتراكيب اللغوية أكسبتها **شحنة دلالية أيديولوجية وقيمة تعبيرية** تعكس ثقافته ونظرته إلى العالم وتعمل على تعزيز وترسيخ الأفكار والمعتقـــدات، وســـاهمت في **تغـــيير المرجعية الأيديولوجية** قصد إضفاء بيئة جديدة على النص الهدف، وهي بالتـــالي ليســـت عمليات بريئة وعفوية بسبب البعد الأيديولوجي الذي يحكمها ويُخلّف أثـــره فيهـــا وفي عقول قرّاء النص الهدف، وأن تداولها يبقى رهن موقف القائمين علـــى الترجمـــة الـــذين يتكفلون بدعم وضبط إنتاجها بقواعد معيّنة. وتقف وراء هذه العمليات خلفية ومرجعيـــة **أيديولوجية دينية** بالدرجة الأولى ثم **نزعة عرقية égocentrisme** أتاحتـــا التصـــرف في النص وخلّفتا مظاهرا لغوية نصّية تُترجم أثر **البعد الأيديولوجي** وتُكرّس العصبية والتمركز حول الذات يعكس صعوبة الحوار بين الأديان، فالحوار بين الأديان موضـــوع حسّـــاس ومعقد يميل فيه كل طرف من أطراف الحوار إلى التعصب لدينه لأنه يرى فيـــه العقيـــدة الصحيحة دون غيرها.

الخاتمـــة

يندرج هذا البحث ضمن الدراسات التي تهتّم بالبعد الأيديولوجي في الترجمة الأدبية التي تختص بترجمة نصوص تتميز عن غيرها من حيث الشكل والمضمون وتحمل في ثناياها مميزات المجتمع الذي نشأت فيه بكل مكوناته الثقافية والدينية والأيديولوجية ثم نقلها من سياق معيّن إلى سياق آخر ومن عالم خاص إلى عالم مغاير. وبهذا الشكل تتكفل الترجمة مع باقي قنوات التواصل بتقارب الثقافات ومد جسور الحوار والتعارف بين الشعوب.

وكان الهدف من هذه الدراسة البحث عن إجابة للإشكالية التي شكّلت محور الدراسة: **ما هو الدور الذي تلعبه الأيديولوجية في الترجمة الأدبية؟**

ابتغاء تحقيق الغرض المنشود، تضمنت دراستنا بحثا في مسألة علاقة اللغة والخطاب بالأيديولوجية، نتحرى من خلاله عنصر الأيديولوجية وأثرها في الترجمة وتجلياتها عبر مظاهر لغوية تعكسها، وكذا معاينة الهدف الذي يترتب عن اختيار المفردات بغية التصرف في معاني النص الأصل أو تشويهها. وهو إجراء يُعبّر عن نزعة يتبنّاها العاملون في هذا المجال ينعكس أثره الأيديولوجي في النصوص المترجمة لإنتاج ترجمات ليس لأن القارئ في اللغة الهدف لا يسعه تلقيها أو تقبلها باختلافها أو غرابتها، بل ترجمات تهدف إلى توجيه القارئ وترسيخ معتقدات وأفكار معيّنة.

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا العمل على المقاربة التاريخية ضمن منهج التحليل النقدي للخطاب (**CDA**) بهدف تحليل بعض المفردات المنتقاة من الترجمة تحليلا يتصل بإجراءات

تحريف وتشويه المعاني والحذف والإضافة، حتى نهتدي إلى مواضع التصرف والأسباب التي كانت وراءه. إذ يعد التحليل النقدي للخطاب الإطار المناسب لرفع الستار عن المحتوى الأيديولوجي وكذا الطرق التي يتم بها التعبير عن المواقف والأفكار المشحونة أيديولوجيا أو تعزيزها حتى تظهر جلية في الترجمة.

وقد خصّت هذه الدراسة النسخة الفرنسية لرواية « **قصر الشوق** » لنجيب محفوظ الموسومة بعنوان « **Le Palais du Désir** » للمترجم فيليب فيغرو **Philippe VIGREUX**، حيث وقع الاختيار على هذه المدونة لأسباب فنية وعملية تتجلّى أهميتها أساسا في كونه نص مشبّع بخصائص الثقافة العربية الإسلامية ومقوماتها، وأن الترجمة قد تمّت على يد مترجم فرنسي ينتسب إلى ثقافة تختلف عن ثقافة مؤلف النص الأصل من حيث اللغة والمعتقد والأفكار.

وجاءت نتائج الدراسة التي لمسناها من التحليل النقدي لنماذج المفردات المختارة من الترجمة الفرنسية كما يلي:

- أن النسخة الفرنسية قد تضمنت الإجراءات الثلاث التي استندنا إليها في التحليل أي تحريف وتشويه المعاني، الحذف والإضافة، وأن مرجعية أيديولوجية تقف وراءها.
- أن مظاهر الأيديولوجية قد تجلّت في خيارات معجمية محددة تعكس خصائص أسلوبية خاصة بالمترجم وأيديولوجية معيّنة.

- أن التشويه القائم على خيارات معجمية مسّ بالأخص مفردات تحمل دلالة دينية تعكس هوية النص الأصل، ويكشف عن مواقف المترجم من خلال اختيار المصطلحات الدينية أو التعابير السائدة في لغة الوصول تعمل على تغيير المرجعية الأيديولوجية.
- أن الخيارات المعجمية جاءت لإضافة عناصر لتثبيت صور نمطية لها تأثير بالغ في النص عبر استراتيجية إبراز إيجابيات ثقافة المترجم وتذليل إيجابيات الغير أو إبراز سلبيات الغير.
- أن الترجمة قد خضعت للتصرف القائم على مرجعية أيديولوجية تهدف بالإضافة إلى الأغراض السابقة، إلى إرضاء أفق انتظار القارئ في اللغة الهدف وتسهيل عملية التلقي، وشدّه إلى نظرة معينة يتحدّد وفقها تصوره للعالم.
- أن الأيديولوجية قد ساهمت في الوقت نفسه في الكشف عن صراع حضاري/ ديني يرمي إلى ترسيخ الأفكار والمعتقدات لدى القارئ عبر النظريات الترجمية السائدة ترسيخا تتنّكر به لديانة الآخر.

وكنا نصبو من خلال هذه الدراسة التي تنظر في علاقة الدرس الترجمي بالأيديولوجية في إطار التحليل النقدي للخطاب، إلى المساهمة في الكشف عن خبايا الترجمة الأدبية لأنها ليست مجرد عملية نقل مادة لغوية من لغة إلى أخرى، بل هي نتاج عملية تفاوض وقرارات يتخذها العاملون في هذا المجال مثل وكلاء الترجمة ودور النشر. ويتأكد أثر دور النشر والإنتاج والترجمة في ترسيخ مبادئ الأيديولوجية التي « تتهيكل من خلال حضورها

الاجتماعي عبر مختلف الأجهزة لتؤدي وظيفتها لحفظ مكانتها واستمرار هيمنتها.»

(ألتوسير ذكر في عموري السعيد، 2013: ص 4)

كما أردنا التحسيس بأثر الأيديولوجية في العمل الترجمي التي يتبناها المترجم ويتأثر بها بوعي منه أو بدون وعي لأن « اختيار أي كلمة على حساب أخرى قد يكون مؤشرا على موقف أيديولوجي معيّن. ومن شأن كل اختيار أن يتضمن بعدا أيديولوجيا، وهو يُبرز بالدرجة الأولى التبعات الأيديولوجية لهذا لاختيار» (Hatim & Mason, 1997, p. 120) خدمة لأغراض وأهداف شخصية تعكس أيديولوجيته وثقافته ونظرته إلى العالم أو تلبي متطلبات القارئ وترضخ إلى تطلعاته قصد إرضائه حتى تُكلّل ترجمته بالنجاح، أو تنصاع لإكراهات دور النشر التي تتبنّى إمّا سياسة قومية تهدف من ورائها إلى تثبيت المعتقدات والأفكار السائدة في مجتمعاتها أو تغيير أو جلب مفاهيم جديدة تخدمها مُبرزة حقيقة الصراع الحضاري بين الأمم، وإمّا هدفا تجاريا ترمي من خلاله إلى تحقيق النجاح عبر تلقي الترجمة من طرف القارئ وبالتالي جني الأرباح عبر رواجها.

ولا يسعنا في إطار الحديث عن خبايا الترجمة الأدبية إلا أن نستشهد بقول لاورونس فينوتي:

> The violence of translation resides in its very purpose and activity: the reconstruction of the foreign text in accordance with values, beliefs, and representations that pre-exist in the target language, always configured in hierarchies of dominance and marginality, always determining the production, circulation, and reception of texts. . . .
>
> Whatever difference the translation conveys is now imprinted by the target-

language culture, assimilated to its positions of intelligibility, its canons and taboos, its codes and ideologies. The aim of translation is to bring back a cultural other as the same, the recognizable, even the familiar; and this aim always risks a wholesale domestication of the foreign text, often in highly self-conscious projects, where translation serves an imperialist appropriation of foreign cultures for domestic agendas, cultural, economic, political. (Venuti, cited in Said Faiq, 2004: 3)

أما من الجانب الأكاديمي، فمُرادنا أن تكون هذه الدراسة مُنطلقا لبحوث أخرى ضمن دراسات الترجمة والأيديولوجية، تشمل ترجمة باقي أعمال نجيب محفوظ إلى اللغة الفرنسية أو إلى لغات أخرى للمترجم نفسه أو لغيره، سعيا إلى اكتشاف أثر الأيديولوجية في ترجمة هذه الأعمال ومقارنتها بعضها ببعض أو بالنتائج المنبثقة عن هذه الدراسة.

ولا يجب أن يقودنا هذا الاستنتاج بأي حال من الأحوال أن نتجاهل أعمال فيليب فيغرو في ترجمة أشهر المؤلفات العربية والتعريف بها في أصقاع أخرى وفقا لأيديولوجية تُعبّر عن معتقدات أو نظرة إلى العالم خاصة به من الأرجح أن تكون قد تشكلت من مختلف مصادر الاكتساب الاجتماعي والثقافي التي تُشكلّ بدورها المعجم اللغوي للمترجم يُعبر به بوعي أو بلا وعي منه عبر خيارات لغوية في النص الهدف.

كما نود أن تساهم البحوث المنجزة في هذا الإطار ونتائجها في إقناع العاملين في ميدان الترجمة إلى تبنّي مبدأ الأخلاق الذي لا يُمكن تجسيده إلا وفق سياسة يتبنّاها المجتمع الدولي أفرادا ومؤسسات، سياسة تحتاج إلى إرادة حقيقية وحيادية لتكريس مفهوم الغيرية واحترام الآخر في ظل مبادئ التعايش بين الشعوب والتبادل بين الثقافات والحوار بين الأديان.

المصادر والمراجع

المصـــادر والمراجـــــع

أولا: المصادر

1- محفوظ نجيب. (1987). *قصر الشوق*. القاهرة، مصر : مطبوعات مكتبة مصر.

2- Mahfouz. N. (1987). *Le Palais Du Désir*, traduit de l'Arabe par Philippe Vigreux. Paris : J.C. Lattès,

ثانيا : المراجع العربية :

1- السد نور الدين. (1977). *الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث، ج1*. الجزائر : دار هومة للنشر والتوزيع.

2- المسدي عبد السلام. (1993). *الأسلوبية والأسلوب*. تونس : الدار العربية للكتاب.

3- بيوض إنعام. (2003). *الترجمة الأدبية مشاكل وحلول*. بيروت، لبنان : دار الفرابي.

4- حمداوي جميل. (2015). *محاضرات في لسانيات النص*. الرباط، المغرب : منشورات فكر.

5- خورشيد إبراهيم زكي. (1975). *الترجمة ومشكلاتها*. مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

6- ديداوي محمد. (2002). *الترجمة و التعريب بين اللغة البيانية و اللغة الحاسوبية*،ط1. الدار البيضاء، المغرب : المركز الثقافي العربي.

7- عناني محمد. (1998). *الترجمة الأدبية بين النظرية و التطبيق*. مكتبة لبنان: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.

8- فاديه ميشيل. (2006). *الأيديولوجية وثائق من الأصول الفلسفية*، ترجمة د. أمينة رشيد و سيد البحراوي. بيروت، لبنان : دار الفرابي.

9- كريم زكي حسام الدين. (2001). *اللغة والثقافة*، الطبعة الثانية. القاهرة، مصر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

10- محمد جابر جمال. (2005). *منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق*. العين : دار الكتاب الجامعي.

11. محمد عوض. (1969). *فن الترجمة*. جامعة القاهرة، مصر : معهد البحوث والدراسات العربية.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

12- Bahaa-Eddin. A .H . (2011). Litterary Translation : Aspects of Pragmatic Meaninig. UK : Cambridge Scholars Publishing.

13- Baker, M. (2001). UK : Routledge Encyclopedia of Translation Studies.

15- Ballard, M et El Kaladi. A (2003).Traductologie, linguistique et traduction..Arras : Artois Presses Université.

16- Bassnett, S. (2002).Translation Studies, third edition, London and Newyork : Routledge.

17- Berman, A .(1984). L'épreuve de l'étranger : Culture et traduction dans l'Allemagne Romantique. Paris : Gallimard Coll. Tel,.

17- Berman, A. (1999).La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain. Paris : Seuil.

18- Berman, A. (1995).Pour une critique de la traduction : John Donne. Paris : Gallimard,

19- Hellal, Y. (1986). La théorie de la traduction. Alger : OPU.

20- Hurtado, A. A. (1990). La notion de fidélité en traduction. Paris : Didier Erudition.

21- Kramsch, C. (1998). Language and Culture.. UK : Oxford University Press.

22- Ladmiral, J. R. (1994).Traduire : théorèmes pour la traduction. Paris : Gallimard.

23- Le Noble Coran et la traduction en langue française de ses sens. (1420 de l'Hégire). Al-Madinah Al- Munawwarah, Royaume d'Arabie Saoudite : Complexe Roi Fahd pour l'impression du Noble Coran.

24- Mounin, G. (1963).Les problèmes théoriques de la traduction. Paris : Gallimard.

25- Mounin, G.(1976). Linguistique et traduction. Bruxelles, Dessart et Mardaga.

26- Munday, J. (2001). Introducing Translation Studies. London and Newyork : Routledge.

27- Nida, E and Taber Charles. (1969).The Theory and Practice of Translation. Leiden : E.J. Brill,.

28- Pym, A. (1997). Pour une éthique du traducteur. Ottawa : Artois presses Université.

29- Radouane, J. (1985). La Traductologie: Science et philosophie de la traduction. Alger : OPU

30- Schleiermacher, F. (1999). Des différentes méthodes de traduire, Traduit de l'Allemand par Antoine Berman. Paris : Seuil.

31- YOWELL, Y. Aziz et Lataiwish Muftah S. (1999). Principles of Translation. Benghazi, Libya : Dar Annahda Alarabiya.

رابعا: المعاجم والقواميس:

32- التونجي محمد. (1993). *المعجم المفصل في الأدب*، ج1. لبنان، بيروت : دار الكتب العلمية.

33- صليبا جميل. (1982). *المعجم الفلسفي*، ج1. لبنان، بيروت : دار الكتاب اللبناني.

34- Dictionnaires Larousse français

www.larousse.fr › dictionnaires › francais

35- Dictionnaire Universel. (1997). Hachette Edicef, Ed. 03,

36- Oxford English Dictionary, 2005.

37- Webster English Dictionary. (1991,1992). USA : Ottenheimer Publishers.

خامسا: المجلات والدوريات:

38- Munday, J. (2007).*Translation and Ideology, Encounters and Clashes*.. The Tanslator, Special issue, vol 13, n° 2, 195-217

39- Tawfik Yousef. (2002). *Translation and the Cultural Dimension*. Revue Al-Mutargim, N° 5, Juillet-Septembre, 7-22

سادسا: المراجع الإلكترونية:

الكتب الالكترونية :

40- Abdulla Shunnaq and Mohamed, H. Heliel *(eds). (*1994). *Language, Discourse and Translation in the West and Middle East*. In DE BEAUGRANDE, Robert. [eds.], https://doi.org/10.1075/btl.7

41- Fairclough, N. (1989). *Language and Power* .

https://epdf.pub › download › language-and-power-language-in-social-life

42- Fairclough, N. *(*1995).*Critical Discourse analysis.* London: Longman.

https://www.academia.edu ›Critical_Discourse_Analysis_Norman_Fairclough

43- Fawcett, P. (1998). *Ideology and translation*. In M. Baker (Ed.) Routledge encyclopedia of translation studies.
https://elearning.unipd.it › pluginfile.php › mod_folder › content › Routledge
44 – Hatim, B and Mason, I. (1997). *The Translator as Communicator*..
ilts.ir › Content › ilts.ir › Page › ContentImage › Translator as Communcator
45- Hatim, B and Mason, I. (2001). Communication Across Cultures – Translation Theory and Contractive Text Linguistics.
https://www.academia.edu › ACROSS_CULTURES_Translation_Theory_an...
46- Hornby, M. S. (2006). *The Turns of Translation Studies: New paradigms or shifting viewpoints?* John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/ Philadelphia
https://www.academia.edu/8305812/The_Turns_of_Translation_Studies_New_paradigms_or_shifting_viewpoints_Benjamins_Translation_Library
47- Machin. D & Mayr. Andrea. (2012). How to Do Critical Discourse Analysis. SAGE publication Ltd, London.
uk.sagepub.com
48- Munday, J. (2008). *The Relations of Style and Ideology in Translation: A case study of Harriet de Onís*, en PEGENAUTE, L.; DECESARIS, J.; TRICÁS, M. y BERNAL, E. [eds.],
http://www.aiet.eu/pubs/actas/III/AIETI_3_JM .
49- Munday, J. (2008). *Style and ideology in translation : Latin American writing in English*..
cw.routledge.com › translationstudies › data › samples
50- Robinson, D, *What is Translation, Centrifugal Theories, Critical Interventions*,
http://digitalcommons.kent.edu/translation
51- Said Faiq and al. (2004). *Cultural Encounters in Translation from Arabic*
http://www.archetype-it.com

52- Teun A. Van Dijk. (1998). *Ideology, Multidisciplinary Approach*.

www.discourses.org › OldBooks › Teun A van Dijk - Ideology

53- Venuti, L. (1995). *The Translators's Invisibility, A History of Translation.* citeseerx.ist.psu.edu › viewdoc › download

54- Venuti, L. (2000). *The Translation Studies Reader*. London : Routledge. https://translationjournal.net › images › e-Books › PDF_Files › The Translati...

55- Wodak, R and Meyer, M. (2001). *Method of critical Discourse Analysis*. www.fib.unair.ac.id › jdownloads › methods_of_critical_discourse_analysi...

المجلات الالكترونية :

56- الزليطني محمد لطفي. (2014). من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب. مجلة الخطاب، المجلد 9 : العدد 17. جامعة تيزي وزو - الجزائر https://www.asjp.cerist.dz

57- بن محمد إيمان. 2018. البعد الأيديولوجي في ترجمة معاني القرآن عند المستشرقين. مجلة معالم، المجلد 7، العدد 10، المجلس الأعلى للغة العربية – الجزائر https://www.asjp.cerist.dz

58- جمعة صبيحة، من حدود التحليل اللغوي للنص إلى انفتاح عوالم الخطاب، مجلة حوليات الآداب واللغات، مجلد 07-1:ع13 نوفمبر 2019، جامعة محمد بوضياف- المسيلة الجزائر https://www.asjp.cerist.dz

59- عموري السعيد. (جوان 2013). *الأيديولوجيا/الخطاب النص –نحو مقاربة- مفاهيمية*. مجلة الأثر، العدد 18. Revue.univ-ouargla.dz

60- عقيل جاسم دهش. (2012). *جمالية النص الأدبي في أسرار البلاغة – الصورة أنموذجا*. مجلة مركز دراسات الكوفة ، العدد السادس والعشرون.

www.uokufa.edu.iq/journals/index.php/ksc/article/view/2039

61- يطاوي محمد. (2019). التحلِيل النقدي للخطاب: مفاهِيم ومجالات وتطبِيقات – مؤلف جماعي. المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادُية – ألمانيا – برلين.الطبعة الأولى.

http//www.democraticac.de

62- يطاوي محمد. (2018a). المرجعية اللسانية في التحليل النقدي للخطاب، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد 3، العدد 1، مصر.

http//www.academia/37192796/

63- Mahdyan, M and Rbhar, M.(March 2013). *Applying Critical Discourse Analysis in Translation of Political Speeches and Interviews.* Academic Journal of Interdisciplinary Studies, vol 2, n° 1.

https://www.mcser.org › index.php › ajis › article ›

64- Mohamed A, and Hesham, H, *Translation Science, Art of Translation: Theory and Practice* for University Students, Benha University 2009/2010.

65- Schaffner, Ch. (16 November 2004). *Translation Research and Interpreting Research Traditions, Gaps and Synergies (Current Issues in Language and Society Monographs)*, Revue LINGUIST.

https://www.researchgate.net › publication › 24890435

66- Teun A. van Dijk. (2001).*Discourse, Ideology and Context,* Revue Folia Linguistica, vol 35,.

https://pdfs.semanticscholar.org/17c8/4082f6f6e0b7e03f1e89bbddd54c3b36047c.pdf

67- Teun A. van Dijk. (1995). *Discourse semantics and ideology*, *DISCOURSE & SOCIETY,* SAGE, vol. 6(2)

citeseerx.ist.psu.edu › viewdoc › summary

68- Teun A. van Dijk. (2006). *Politique, Idéologie et Discours*, Revue SEMEN 21: Catégories pour l'analyse du discours politique.(traduction assurée par Emmanuelle Bouvard et Adèle Petitclerc).

https://journals.openedition.org/semen/1970

69- Wolfgang, I. (1994). *On Translatability*, Surface [**en ligne**] , vol 4

https://pum.umontreal.ca › revues › surfaces › vol6 › iser

الملخصـــــات

البـــعـــــد الأيديولوجـــي فـــي الترجمـــة الأدبيـــة

دراســـة تطبيقيـــة تحليليـــة في ترجمـــة روايـــــة "قصـــــر الشوق" لنجيـــب محفـــوظ إلى الفرنسيـــة

ملخـــص :

يقال أن الترجمـــة قديمـــة قدم الإنسانية ذاتها، لكن لم تخل الترجمات يوما من الأثـــر الأيديولوجي الذي تحكـــم في مسارها وكان عنصرا مهما في سنّ نظرياتها وتحديـــد أساليبها.

وضمن هذه الدراسة، أثرنا مسألة ترجمـــة النصوص الأدبية بصفتها المرآة العاكسة للمميزات الثقافية لمختلف الشعوب ودور ترجمتها في مـــد جسور الحوار مع الآخـــر من منظور مفهوم التعايش بين مختلف الثقافات. غير أن ترجمة هذه النصوص لا تكاد تخلو من الجدل المرتبط بالمنهج الترجمي الذي لم يستطع أن يتخلّص من قبضة الأيديولوجية باعتبارها مرجعية لجميع الأعمال التي تصدر عن الإنسان بما في ذلك التأليف والترجمة، وسلطة تُملي علاقة النص الأصل بالنص الهدف وتُحـــــدّد أساليب الترجمة والهدف منها.

ومحاولة منا سبر أغوار أثر عنصر الأيديولوجية في الترجمة، أنجزنا هذه الدراســـة التطبيقية التحليليـــة التي ترتكـــز على رصـــد نماذج المفردات المختارة من رواية «قصر الشوق» لنجيب محفوظ وترجمتها إلى الفرنسية بعنوان «Le Palais du Désir»، وتحليلها في ضوء مبادئ المقاربة التاريخية للخطاب ضمن منهج التحليـــل النقدي للخطاب (**CDA**) باعتباره منهجا يسمح بالكشف عن الخلفية الأيديولوجية لكل الاختيارات المعجمية ومظاهرها عبر ثلاث إجراءات لغوية هي التشويه والحذف والإضافة، التي يتبناها المترجـــم في ترجمته وتحديد مكمن "التصرف" لأنها خيارات تحمل طيّها معان مشبّعة بها تعكس ثقافته ونظرته للعالم. وهي دراسة تهدف إلى التحسيس بأثـــر الأيديولوجية في الممارسة الترجمية وتأثيرها في المترجم بوعي أم بدون وعي منه.

الكلمات المفتاحية : الترجمة – الأدب – الحوار بين الثقافات – الخطاب – الأيديولوجية – التحليل النقدي للخطاب.

La Dimension Idéologique dans la Traduction Littéraire
Etude pratique analytique – La version française du roman « Le Palais du Désir » de Naguib Mahfoud comme exemple

Résumé :

L'homme a connu la traduction depuis la nuit du temps, ainsi dit, mais les traductions n'ont jamais échappé à l'impact de l'idéologie qui maitrise son cours, et est de surcroît un élément décisif dans l'élaboration des théories et la mise en place des méthodes de traduction.

Dans le cadre de cette thèse, nous avons soulevé la question de la traduction des textes littéraires comme supports reflétant les caractéristiques culturelles et religieuses des peuples, ayant entre autre un rôle déterminant dans le dialogue avec l'Autre dans la perspective du concept de coexistence entre les cultures. Cependant, la traduction de ces textes n'a jamais pu se détourner de la controverse liée à la méthode adéquate de bien traduire, ni se libérer de la main mise de l'idéologie comme étant une référence à tous les actes de l'homme y compris l'écriture et la traduction, et une autorité balisant la relation du texte original avec le texte cible et déterminant sa visée.

Dans la perspective d'explorer l'impact de d'idéologie sur la traduction, nous avons réalisé cette étude analytique et critique axée sur des choix lexicaux tirés du roman «Qasr Echouq» un chef d'œuvre du romancier égyptien Naguib Mahfouz et sa version française «Le Palais du Désir» du traducteur français Philippe VIGREUX. Une analyse de ces choix à la lumière de l'approche historique du discours au sein du principe de l'analyse critique du discours (CDA) qui se veut une approche pouvant dévoiler le contexte idéologique et ses manifestations dans tous les choix lexicaux liés à des procédés linguistiques adoptés par le traducteur : la déformation, la suppression et l'ajout, et débusquer les lieux de "manipulation". Ce sont des choix dont le sens est idéologiquement chargé reflétant un tant soi peu la culture du traducteur et sa propre vision du monde. Il s'agit d'une étude de sensibilisation sur l'impact de l'idéologie dans la traduction littéraire et ses effets dans le conscient ou l'inconscient du traducteur.

Mots clés: traduction – littérature – dialogue des cultures – discours – idéologie – analyse critique du discours.

The Ideological Dimension in Literary Translation

A Practical Analytical Study – The French version of Naguib Mahfoud's novel "The Palace of Desire" as a case study

Abstract :

It is known that translation is as old as humankind, but translations have never escaped the impact of the ideology that controls its course, and which has been a decisive element in the elaboration of theories and setting translation methods.

Within the context of this thesis, we have raised the question of the translation of literary texts as supports reflecting the cultural and religious characteristics of peoples, having a fundamental role in intercultural dialogue in the perspective of the concept of coexistence between cultures. However, the translation of these texts has never been able to turn away from the controversy related to the adequate method of translating, nor to free itself from the grip of ideology as being a reference to all human acts therein. including writing and translation, and as an authority dictating the relation of the original text to the target text, as well as defining his aim.

In order to explore the impact of ideology on translation, we carried out this analytical and critical study based on lexical choices taken from the novel «Qasr Echouq» a masterpiece by the Egyptian novelist Naguib Mahfouz and its French translation « The Palace of Desire» by French translator Philippe VIGREUX. The analysis of these choices in the light of the historical approach to discourse within the principle of critical discourse analysis (CDA) which is intended to be an approach that can reveal the ideological context and its manifestations in all the lexical choices linked to linguistic processes adopted by the translator: distortion, deletion and addition, and flush out "manipulation". These are choices whose meaning is ideologically charged, reflecting somewhat the translator's culture and his own vision of the world. It is a study aiming to aware on the impact of ideology in literary translation and its effects on the translator's conscious or unconscious.

Keywords: translation – literature – dialogue of cultures – discourse – ideology – critical discourse analysis.

فهرس المحتويات

فهـــرس المحتـــويات

الصفحـــة

إهـــــداء

كلمـــة شكـــر وعـــرفان

المقدمـــة **06**

الفصـــل الأول: الترجمـــة الأدبية، رهاناتها وخصائصها

المبحث الأول: مفهوم النص الأدبي ومميزاته

تمهيـــــد **17**

1- مفهـــوم النص الأدبـــي **19**

2- مميزات النص الأدبـــي **21**

المبحث الثانـــي: الترجمـــــة وحـــوار الثقافـــات

تمهيـــــد..... **24**

1 – البعـــــد الثقافـــي في الترجمة الأدبية **25**

2 - الترجمة وحوار الثقافات **30**

المبحث الثالث: إشكالية ترجمـــة النصوص الأدبية

تمهيـــــد..... **35**

1- خصائص الترجمة الأدبية **36**

2- إشكالية ترجمـــة البعـــد الثقافـــي **42**

2.1- مفهوم أنطـــوان برمان في الترجمة الأدبية **44**

2.1.1- البعد الأخلاقي في الترجمة عند أنطوان برمان **46**

2.1.2- الترجمة الحرفيـــة عند أنطوان برمان 49

2.2- مفهوم إعادة الكتابـــة عنـــد أندريه لوفافر 53

الفصـــل الثانـــي: البعـــد الأيديولوجـــي في الترجمـــة

المبحث الأول : الأيديولوجية والترجمة

تمهيـــــد 62

1 - تعريف الأيديولوجية 64

2 - اللغـــة، الخطـــاب والأيديولوجية 70

3- الأيديولوجية والترجمة 75

المبحث الثانـــي : الترجمة والتحليل النقدي للخطاب

تمهيـــــد 80

1- ما هـــو التحليل النقـــدي للخطاب؟ 82

1.1- نشأتـــــه 85

1.2- مفهومـــــه 87

1.3- المقاربة التاريخية للخطاب 94

2 - الترجمـــة والتحليل النقدي للخطاب..... 99

3 - التحليل النقدي للخطاب: الكشف عن أثر الأيديولوجية في اختيار المفردات 103

الفصـــل الثالـــث: دراسة تحليلية نقدية للمدونة في ضـــوء التحليـــل النقـــدي للخطاب

تمهيـــــد 109

المبحث الأول : المدونـــــة

تمهيـــــد 111
1- التعريـــف بالمدونـــة 113
2- التعريـــف بالكاتـــب 116
3- التعريـــف بالمترجـــم 118
2- ملخص الروايـــة 119
المبحث الثانـــي: الدراســـة النقديـــــة التحليليـــة للمدونـــة
تمهيـــــد 122
1: دراســـة النماذج 125
1.1 – التحريف والتشويـــــه Déformation et altération 125
1.2 - الحذف Suppression 149
1.3 - الإضافـــة Adjonction 164
2 – نتائـــج الدراســـة التطبيقـــية 177
خاتمة 183
قائمـــة المصادر والمراجع 189
الملخصـــات
1- الملخص بالعربيـــة 198
2- الملخص بالفرنسيـــة 199
3- الملخص بالانجليزيـــة 200
فهـــرس المحتـــويات 202